إيران وجماعة الإخوان المسلمين المصرية: اتجاه نحو تطوير العلاقات أم مجرد إصلاحها؟

تامر بدوي و أسامة الصياد - أيلول ٢٠١٨

منتدى الشرق / أوراق بحثية

منتدى الشرق
ALSHARQ FORUM

إيران وجماعة الإخوان المسلمين المصرية: اتجاه نحو تطوير العلاقات أم مجرد إصلاحها؟

تامر بدوي و أسامة الصياد

الفهرس:

ملخص تنفيذي	٤
مقدمة	٦
القسم الأول:السياسة الإيرانية تجاه الإخوان في سياق الربيع العربي وما بعده	١٢
ثورات قبلتها إيران	١٣
ثورات لم تقبلها إيران	١٥
القسم الثاني: إخوان مصر وإيران :انكشاف الهشاشة والارتدادات	٢٦
ما بعد يناير :علاقات متباعدة بين« الجماعة الأم »وإيران	٢٧
اللجنة الرباعية :تواصل تحت أعين السعودية	٢٨
تحوّل تدريجي في نظرة الإخوان لإيران	٢٩
العلاقات السهلة المستحيلة وهروب الصيد الثمين	٣٦
تصدُّع الجماعة :خطوط منفصلة للتواصل مع إيران	٣٩
خاتمة	٤٧
المراجع	٥٢
عن المؤلفين	٥٨

ملخص تنفيذي

• حوَّل توسُّع النفوذ الإيراني عقب اندلاع ثورات الربيع العربي صورة جمهورية إيران الإسلامية في المجتمعات العربية، خصوصًا السُنّية منها. ورسمت إيران صورةً سلبيةً عن نفسها بدورها المُساعد في قمع ثورة ٢٠١١ السورية ضد الرئيس بشار الأسد، ومحاولتها خلق أجهزة أمنية-عسكرية موازية في منطقة المشرق. وتحاول إيران الاستفادة من مكاسبها الجيوسياسية وبناءَ شبكات تواصلٍ مع المجتمعات العربية السُنيّة بهدف تحسين صورتها وإيجاد دائرة واسعة من الشركاء العرب السُّنة.

• تُمثّل شبكات جماعة الإخوان المسلمين، المعروفة بالإخوان، هدفًا رئيسًا لدبلوماسية إيران التي تستهدف الأطراف الفاعلة من غير الدول. وتحاول جمهورية إيران الإسلامية خطبَ ودّ جماعة الإخوان المصرية، القائدة التاريخية للتنظيم العالمي للإخوان، كجزءٍ من جهدٍ أوسع لتحسين علاقاتها مع المنظمات الجماهيرية العربية. التجديد الفعّال للروابط التاريخية مع الإخوان في مصر، ومع بقية المنطقة، سيحسّن الدبلوماسية العامة لطهران؛ ومن ناحية أخرى، قد يساعد ذلك في تسهيل الوساطة مع أطراف معادية. لذا، كانت ثورات الربيع العربي، ولا سيما الثورة المصرية، نقطة تحوُّلٍ في إعادة تشكيل العلاقات مع الأطراف الفاعلة والحيوية من العرب السُنَّة.

• مثَّلت الثورة المصرية في يناير/كانون الثاني ٢٠١١ نقطة تحوُّل في إدراك الجماعة المصريّة للترتيبات الإقليمية ولنفسها باعتبارها فاعلًا أساسيًا. وبالنسبة إلى إيران، كانت هناك مصلحة متبادلة بينها وبين الإخوان الذين يتولون السلطة في مصر لإعادة تشكيل العلاقات بما يتناسب مع إعادة ترتيب الديناميات السياسية الإقليمية في أثناء فترة الربيع العربي. وكان وجودُ إرثٍ من العلاقات المُتجاوِزة للطائفية بين الجماعة وإيران عاملًا مهمًا في ذلك.

• لم تكن إيران راضيةً، ولم يُلبِّ الجانب المصري توقعاتها نظرًا لتردُّد الإخوان في إجراء أيِّ تحوُّلات كبرى في السياسة الخارجية المصرية في المنطقة، وعدم استعدادهم لإثارة مخاوف الأطراف الفاعلة الرئيسة في منطقة الخليج،

وتحديدًا المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، من بروز محورٍ إسلاميٍّ إقليمي.

• مع اقتراب الإخوان من السلطة، ازداد حذرهم في التعامل مع «الملف الإيرانيّ» في ظلّ تصاعد الضغط الخارجي والداخليّ. أبقى محمد مرسي، الرئيس وعضو الجماعة، أبوابَ التواصل مفتوحةً بقدرٍ غير مسبوق مقارنةً بسلفه الرئيس حسني مبارك، إلا انه وبدلًا من إجراء تقارب مصريّ إيرانيّ فضَّلت القاهرة آنذاك تهدئة المخاوف المتصاعدة لدى الأطراف الفاعلة في منطقة الخليج.

• في أعقاب الانقلاب العسكري ضد الحكومة التي كانت خاضعةً لقيادة الإخوان في القاهرة، سعت الجماعة للعزلة تخفيفًا للقمع الذي تواجهه في مصر والمنطقة، والذي جاء مدفوعًا من الحلفاء الخليجيين للحكومة المصرية الجديدة التي يقودها الجيش. في المراحل الأولى، عكس خطاب الإعلام الإيراني بعد الانقلاب ـ ظاهريًا ـ أنَّ طهران لم تكن متحمسة لاستئناف تواصلها مع الإخوان. ومن الناحية الأخرى، برَّر الإخوان لاحقًا تردُّدهم في الترحيب بالجهود الإيرانية الرامية إلى دعمهم بحالة الضعف التي صعَّبت عليهم الانخراط مع الجانب الإيراني.

• مع تنامي الانقسام داخل جماعة الإخوان المصرية، شرعت إيران في فتح خطوط اتصالٍ مع الفصائل الناشئة (الحرس القديم، وجبهة القيادة الجديدة، وأنصار المواجهة). ويتبنَّى كلٌّ من هذه الفصائل منظورًا مختلفًا للعلاقات الخارجية للجماعة وكيفية التعاطي مع طهران. فالحرس القديم أكثر تحفُّظًا في نهجهم تجاه إيران، أما فصيل المواجهة فهو الأكثر انفتاحًا، في حين يتخذ فصيل جبهة القيادة الجديدة موقفًا وسطًا.

• مع وجود كبار البارزين من الإخوان في تركيا وقطر، يؤّثر موقف البلد المُستضيف لهم من إيران على موقفِ فصائلهم، حتى لو كان التأثير سلبيًا ضدَّ الحفاظ على منظور مُنفتحٍ على إيران. وستتأثر النظرة المستقبلية لعلاقات إخوان مصر مع إيران -إلى حدٍّ معيّن- بمواقف الدول المُضيفة لهم في ظلِّ الديناميات الإقليمية المتغيرة في الشرق الأوسط.

مقدمة

كانت العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجماعة الإخوان المسلمين المصرية، التي تمثِّل الجماعة الأم لـ «التنظيم الدولي للإخوان»، في حالة تقلُّب مستمرٍّ منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية. مثَّلت ثورات الربيع العربي وما تلاها ساحة اختبارٍ للعلاقات بين كلا الجانبين، ومقدمةً لأنماط جديدةٍ من التعاون والصراع بين حركات الإسلام السياسي السنيّة والشيعية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. يُنظَر إلى إيران باعتبارها الراعية والكفيلة الوحيدة لمجموعةٍ من حركات الإسلام السياسي الشيعية المُقاتلة التي تعمل بالتماشي مع أجندتها الإقليمية، في حين أنَّ جماعة الإخوان المسلمين المصرية لطالما اعتُبِرَت واحدةً من أقوى حركات الإسلام السياسي السُنيّة لتمثُّعها بنفوذٍ نسبيٍّ على حركات الإسلام السياسي السُنيّة الأخرى في المنطقة. وتُعَدُّ كلتاهما قوةً محورية قادرة على التأثير في توجهات الإسلام السياسي في المنطقة وخارجها. وما يزيد أهميةَ البحث في العلاقات بين مصر وإيران الاستثنائية الجيوستراتيجية والدينية والتاريخية الكبيرة لكلا البلدين. ولأن مصر بلدُ الأزهر، إحدى أكثر المؤسسات الدينية السُنيّة تأثيرًا تاريخيًا، فإن إيران تنظر إليها باعتبارها بلد الطليعة تاريخيًا للدول العربيّة، وينظر إخوان مصر إلى إيران باعتبارها الفاعل الإقليميَّ السبَّاق والنافذ القادر على حشد شرائح كبيرة من المسلمين الشيعة في مختلف أنحاء العالم.

استند الثوريون الإيرانيون ممَّن يميلون إلى الوحدة الإسلامية إلى كتابات إخوان مصر، لا سيما كتابات سيد قطب، أحد المُنظِّرين الرئيسين لإخوان مصر ممن أنتجوا أدبياتٍ متنوِّعة في سياسة الحكم في الإسلام ونقد الأيديولوجيات الغربية.

يعود تاريخ العلاقات بين رجال الدين الشيعة في حوزة قُم وأعلى المستويات في جماعة الإخوان المسلمين المصرية إلى أواخر أربعينيات القرن الماضي، حين تأسَّست «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» عام ١٩٤٧ في القاهرة[1]. كانت الدار جهدًا مشتركًا بين علماء بالأزهر وفي حوزة قُم لتأسيس منصة للحوار بين الشخصيات السُنيّة والشيعية (لا سيما علماء الدين). كان رئيس الدار، محمد علي علوبة، وهو دبلوماسي مصري ومؤسس المؤتمر البرلماني للدفاع عن فلسطين، على علاقات قوية مع حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين المصرية، ومحمد صالح حرب، مؤسس جمعية الشبان

المسلمين[2]. وتضمَّن المشاركون المصريون آنذاك مجموعة من حركات الإسلام السياسي والجمعيات التي من شأنها إضافة بعدٍ جماهيري إلى هذه الحوارات بين المذهبين[3]. لكنَّ تأسيس المنصة كان أحد نتائج دفء العلاقات المتزايد بين إيران ومصر بعدَ الزواج الملكيّ بين شاه إيران، محمد رضا بهلوي، والملكة فوزية فؤاد.

في السنة التالية، عَقَدَ حسن البنا اجتماعًا مطولًا أثناء الحج في مكّة مع آية الله أبو القاسم الكاشاني، وهو عالم شيعي بارز ذو حظوةٍ لدى آية الله الخميني.[4] وفي عام ١٩٥٤، زار القاهرة نواب صفوي، زعيم منظمة "فدائيو الإسلام" المسلحة المعارضة، والتقى أعضاء في جماعة الإخوان المصرية[5]. عكست هذه اللقاءات الموجزة كيف كانت نزعة الوحدة الإسلامية (برغم الاختلافات الأساسية بينهم في النهج) وتجاوز الطائفية سمتين أساسيتين لدى الإخوان المصريين والمجموعات وأوّل الشخصيات والمجموعات الإيرانية الثورية التي سيكون لها تأثير في وقتٍ لاحق على دوائر نافذة في الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. وفي هذا السياق، استند الثوريون الإيرانيون ممَّن يميلون إلى الوحدة الإسلامية إلى كتابات إخوان مصر، لا سيما كتابات سيد قطب، أحد المُنظِّرين الرئيسين لإخوان مصر ممن أنتجوا أدبياتٍ متنوِّعة في سياسة الحكم في الإسلام ونقد الأيديولوجيات الغربية.

حظيت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ بدعمٍ من إخوان مصر، فقد أرسلوا وفدًا لتهنئة آية الله الخميني والثوريين الإسلاميين. ووفقًا ليوسف ندا، وهو شخصية مصرية بارزة يعمل ضمن التنظيم الدولي للإخوان، فقد كان للإخوان من قبل انتصار الثورة علاقاتٌ مع شخصيات من المعارضة الإيرانية في المنفى بباريس، لا سيما أبو الحسن بني صدر، أول رئيس تولى الحكم بعد الثورة[6]. وعقب الثورة استعان كلٌّ من الجانب الإيراني والجانب الأمريكي -بالترتيب- بالإخوان للاضطلاع بدور الوساطة[7]. وجاءت الحرب الإيرانية العراقية في الثمانينيات، مع حملة تطهير الثوريين الإسلاميين الإيرانيين الذين كانت لهم علاقاتٌ وديّة مع الإخوان، فسبّبت تداعيات للعلاقة بين الطرفين منعتها من الاستمرار في التحسّن. وبرغم توتّر العلاقات أبقى كلا الجانبين خطّ اتصال مفتوحًا عبر منصات العمل الإسلامي المشترك على مدار العقود التالية حتّى وقوع الثورات العربية في أواخر عام ٢٠١٠. ومنذ قيام الثورة المصرية في ٢٠١١ والانقلاب العسكري الذي تلاها في منتصف عام ٢٠١٣، تأرجحت علاقة الطرفين من فترات تحسّن وجيزة وفترات تدهور مفاجئ.

من الناحية الأيديولوجية، يتقارب ويتباعد الإخوان وإيران في مجموعة من المجالات المختلفة، وخصوصًا فيما يتعلق بالحكم السياسيّ والنموذج الإسلامي الذي يطمح كلٌّ طرف لتطبيقه. هنالك سبعة مجالات رئيسة للتباعد والتقارب:

- العلاقة بين الإسلام والسياسة.
- نماذج الحكم الإسلامي.
- الأحزاب السياسية.
- التشريع الإسلامي.
- أساليب ومناهج التغيير.
- القضية الفلسطينية.
- العلاقات مع الغرب.

بشكل أساسي يتقارب الطرفان تقاربًا كبيرًا لاعتقادهما بالعلاقة القوية التي يجب أن تكون بين الإسلام والسياسة، ويؤمن كلاهما بالاعتماد على الشريعة عند تشريع القوانين، رغمَ الاختلاف بين الفقه السني والشيعي (صارَ تطبيق الشريعة بالنسبة إلى إخوان مصر أقلّ أهمية -بحسب بعض المراقبين- منذ أواخر التسعينات).[8] ويتقاربان كذلك حول فكرة أنَّ شرعية الحكومة الإسلامية لا بدَّ أن تُستمَدَّ من الشعب، عبر عدَّة وسائل من بينها البرلمان، وبتأسيسهم لأحزاب سياسية أو مشاركتهم في تأسيسها، على الرغم من موقفهم السلبي سابقًا تجاه الأحزاب السياسية[9].

وبما أنّ الطرفين ليسا كتلةً صلبة وموحّدة أيدولوجيًا، فإنه من المهم الإشارة لوجود بعض التباينات في مواقف الجانبين تجاه القضايا السياسية الكبرى في المنطقة، التي قد يتقاربان فيها بسبب فصائل داخلية معينة، على الرغم من الاختلافات الأيديولوجية العامة

ومن أوجه التقارب الأخرى: القضية الفلسطينية، إذ يتفق كلا الجانبين -على الأقل أيديولوجيًا وفي خطابهما- على ضرورة قتال إسرائيل لتحرير فلسطين[10]. وعلاوة على ذلك، لكلا الطرفين نفس الموقف إزاء إلى أيّ حد يمكن محاكاة الدول الغربية. فكلا الجانبين يقبل واردات التكنولوجيا الغربية، لكنَّه يرفض قيمَ الغرب وثقافته[11]. وبما أنّ الطرفين ليسا كتلةً صلبة وموحّدة أيدولوجيًا، فإنه من المهم الإشارة لوجود بعض التباينات في مواقف الجانبين تجاه القضايا السياسية الكبرى في المنطقة، التي قد يتقاربان فيها بسبب فصائل داخلية معينة، على الرغم من الاختلافات الأيديولوجية العامة.

أمَّا بشأن أوجه التباعد، فتُستمَد نماذج الحكم الإسلامية لكلتا المجموعتين من نظرياتٍ عقائدية مختلفة. فمن ناحية، آمن المُنظِّرون الإيرانيون (لا سيما آية الله الخميني) بنموذج شيعيٍّ جديد يستلزم تعيين نائبٍ سياسيٍّ دينيٍّ في ظلِّ غياب آخر أئمة الشيعة، الإمام المهدي، الذي يعتقد الشيعة أنَّه سيظهر في آخر الزمان، وأنَّه الإمام الشرعي الوحيد للمسلمين.[12] ولكن من الناحية الأخرى، أيَّد إخوان مصر، لكونهم سنيّون تقليديون، نظامَ الخلافة السنّي التقليدي، على الأقل على المستوى الخطابي، كوسيلةٍ لتوحيد المسلمين في مختلف أنحاء العالم تحت مظلة رمزيّة وسياسية واحدة[13]. ويختلف الجانبان جذريًا فيما يتعلَّق بوسائل التغيير السياسي. ففي حين يؤمن المُنظِّرون الإيرانيون بالتغيير الثوري أو الجذري، يؤمن إخوان مصر إيمانًا أكبر بالإصلاح أو التغيير التدريجي[14].

فمع سعي تركيا للتوصُّل إلى تفاهمٍ إقليميٍّ مع إيران لتسوية الصراع السوري، واقتراب قطر من إيران في ظلِّ الحصار الخليجي، فمن المفترض أن تُهيِّئ العلاقات الآخذة بالتطوُّر بين الداعمين الرئيسين لجماعة الإخوان المسلمين المصرية (تركيا وقطر) من ناحية، وإيران من الناحية الأخرى ـ الأجواءَ من أجل علاقاتٍ أوثق بين طهران وإخوان مصر

يقدمُ هذا التقرير دراسةً لحالة العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجماعة الإخوان المسلمين المصرية أثناء فترة الربيع العربي وما بعدها. ومع توفّر أدبيات بشأن العلاقة التاريخية بين الطرفين، ولو بشكل محدود ومع تركيز على فترة الأربعينيات والخمسينيات ومطلع الثمانينيات، إلا أنّ العلاقات في فترة ثورات الربيع العربي (2011-2010) لم تحز اهتمامًا كبيرًا، وكَذَا فترة ما بعد الربيع العربي منذُ انقلاب ٢٠١٣ العسكريّ في مصر. ولهذا، ستكون هذه الفترة الزمنية محور تركيز التقرير. فقد أدَّت تقلبات الثورات العربية إلى دمج قوى سياسية واستبعاد أخرى وسلب قوة بعض هياكل الدول والجماعات المُسلَّحة غير الحكومية وتمكين البعض الآخر بطريقةٍ خلَّفت أثرًا دائمًا في الهُوية الطائفية والعلاقات بين حركات الإسلام السياسي السُنيّة والشيعية في أعقاب الثورات، بما في ذلك إيران وإخوان مصر. لكنَّ أهمية البحث في العلاقات بين إيران وإخوان مصر تذهب لأبعد من ذلك نظرًا لإعادة التموضع الجيوسياسيّ الجاري لثلاث قوى رئيسة في المنطقة: تركيا، وإيران، وقطر.

فمع سعي تركيا للتوصُّل إلى تفاهمٍ إقليميٍّ مع إيران لتسوية الصراع السوري، واقتراب قطر من إيران في ظلِّ الحصار الخليجي، فمن المفترض أن تُهيِّئ العلاقات الآخذة بالتطوُّر بين الداعمين الرئيسين لجماعة الإخوان المسلمين المصرية (تركيا وقطر) من ناحية، وإيران من الناحية الأخرى - الأجواءَ من أجل علاقاتٍ أوثق بين طهران وإخوان مصر. وللمفارقة، ربما تكون أنقرة أكثر اهتمامًا بحدوث تقاربٍ بين طهران وإخوان مصر (وبالتحديد فصائل الإخوان الموجودة في تركيا) ممَّن يقعون تحت مراقبتها، في ظلّ سياسة أنقرة المرتابة تجاه طهران.

ويُركِّز هذا التقرير بشكل أساسيّ على العلاقات بين إيران وجماعة الإخوان المسلمين المصرية، في سياق الجغرافيا السياسيّة، المُتغيّرة، للشرق الأوسط، وعبر منظورين: منظور إيران، ومنظور جماعة الإخوان المسلمين المصرية.

حقَّقت طهران مكاسبَ جيوسياسية واسعة في المنطقة الجغرافية الممتدَّة من العراق حتى شرق البحر المتوسط في ضوء تدخُّلها في الصراع السوري وضد تنظيم الدولة الإسلامية «داعش». وتسعى الإدارة الإيرانية للاستفادة من هذه المكاسب بتحسين صورتها لدى المجتمعات العربية السُنيّة المحلية، ليس فقط في المناطق الجغرافية المذكورة أعلاه، لكن أيضًا في المنطقة العربية ككل. وبسبب الضرورات الأيديولوجية والعملية أيضًا، ربما تنظر فصائلُ سياسية معينة في إيران إلى حركات الإسلام السياسي السُنيّة في المنطقة، لا سيما شبكة الإخوان، باعتبارها أحد مفاتيح التحسين التدريجي لصورتها وتسعى للاستفادة من قدرة الإخوان للتوسُّط في الصراعات الإقليمية التي تتضمَّن مصلحةً لإيران.

وفي حين أنَّ جماعة الإخوان المسلمين المصرية تميل أيديولوجيًا نحوَ حوار مذهبيٍّ مع المسلمين الشيعة، ربما كوسيلة للتواصل مع إيران، فدائمًا ما كانت تأخذ دولَ الخليج - وبالتحديد السعودية - بعين الاعتبار في تحولاتها السياسية تجاه إيران. وهذا ما حدث بالضبط في ظلِّ حكم محمد مرسي وبعد الانقلاب العسكري الذي أطاح الجماعةَ من السلطة في القاهرة. فمع أنَّ السعودية إلى جانب الإمارات اضطلعتا بدورٍ كبير في التحريض على الانقلاب على الإخوان في مصر، فما زالت الجماعة (لا سيما فصائلها الرئيسة) تعتبر الرياض جزءًا من الحلِّ في مصر، الأمر الذي يجعل المملكة فاعلًا لا غنىً عنه. لكن بينما

وفي حين أنَّ جماعة الإخوان المسلمين المصرية تميل أيديولوجيًا نحوَ حوار مذهبيٍّ مع المسلمين الشيعة، ربما كوسيلة للتواصل مع إيران، فدائمًا ما كانت تأخذ دولَ الخليج - وبالتحديد السعودية - بعين الاعتبار في تحولاتها السياسية تجاه إيران

تتغير الديناميات الجيوسياسية في المنطقة، فإنَّ مقاربات إخوان مصر وخياراتهم السياسية ليست بمعزلٍ عن تلك الديناميات، بل تتأثر بها.

يتألّف هذا التقرير من قسمين:

يتناول القسم الأول سياسة إيران تجاه جماعة الإخوان المسلمين المصرية في سياق فترة الربيع العربي وما بعدها. وينقسم هذا القسم بدوره إلى قسمين فرعيين: الأول يتناول السياسة الإيرانية تجاه ثورات الربيع العربي؛ والثاني مُخصَّص للسياسة الإيرانية تجاه جماعة الإخوان المسلمين المصرية في أثناء الثورات وما بعدها في إطار السياسة الإيرانية الأوسع في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

بينما يتناول القسم الثاني من هذه الورقة سياسة (أو سياسات) جماعة الإخوان المسلمين المصرية تجاه إيران. وهذا القسم بدوره ينقسم إلى قسمين فرعيين: الأول يتناول تحليلًا لكيف مثَّلت فترة الربيع العربي نقطةَ تحوُّلٍ في إعادة تشكيل أولويات السياسة الخارجية للجماعة، وبالتحديد تجاه إيران، في أثناء فترة حكم محمد مرسي؛ والثاني يُمثِّل بحثًا في نهج جماعة الإخوان المسلمين المصرية تجاه إيران، والعكس، في فترة ما بعد الربيع العربي (بعد الانقلاب العسكري في مصر)، وكذلك تأثير التفتُّت التنظيمي للإخوان في الكيفية التي ينظر بها أعضاء الجماعة إلى إيران في المنطقة ومستقبل العلاقات بين الجماعة وطهران.

واعتمد المؤلفان على بياناتٍ مفتوحة المصدر إلى جانب العمل الميداني (خصوصًا المقابلات). وقد أُجري ما مجموعه ٢٥ مقابلةً مع شخصياتٍ مطّلعة بدرجاتٍ متباينة على موضوع العلاقات بين إيران وإخوان مصر. وأجرى المؤلفان في المدَّة بين أغسطس/آب ٢٠١٧ حتى أبريل/نيسان ٢٠١٨ تسعَ مقابلاتٍ في طهران وقُم مع باحثين ومحللين ودبلوماسيين وصانعي سياسات وعلماء دين كبار مرتبطين بمؤسسة الحكم. وتنوَّعت الخلفيات السياسية والفصائلية لمن أجريت المقابلات معهم بين براغماتيين ومعتدلين وذوي خلفياتٍ أصولية ممَّن كانوا مُقرَّبين من المؤسسات الثورية. وأجرى المؤلفان في المدَّة بين أغسطس/آب ٢٠١٧ حتى يوليو/تموز ٢٠١٨ خمسَ عشرة مقابلةً في إسطنبول مع أعضاء حاليين وسابقين في التنظيم الدولي للإخوان، بالإضافة إلى

شخصية واحدة من مستوى القيادة المتوسطة في حركة حماس الفلسطينية. وتنوَّع مستوى الأهمية الإدارية لمن أُجريت معهم المقابلات من إخوان مصر (الحاليين والسابقين) من المستوى المتوسط إلى الرفيع (ينتمون إلى خلفيات فصائلية مختلفة داخل الجماعة)، واضطلع بعضهم بأدوار بارزة في حكم مرسي. وفي يناير/كانون الثاني ٢٠١٨، أُجريت مقابلة مطوَّلة مع قياديٍّ بارز في إخوان مصر مقيم في لندن.

بالنسبة إلى إيران، كانت الثورات العربية على المدى المتوسط إلى الطويل تعني ظهور نظام إقليميٍّ جديد وأنظمةٍ سياسية جديدة تستمدُّ شرعيتها من سكان المنطقة ذوي الغالبية المسلمة . وقد يعني ظهور مثل تلك الأنظمة ـ من وجهة نظر إيران- السعي لسياسةٍ خارجية أكثر استقلالًا في مواقفها تجاه العواصم الغربية، خصوصًا واشنطن

القسم الأول: السياسة الإيرانية تجاه الإخوان في سياق الربيع العربي وما بعده

أ: السياسة الإيرانية تجاه الربيع العربي: جمع *الثمار* وردع *التهديدات*

شكَّلت الثورات العربية (تونس، ومصر، وسوريا، وليبيا، واليمن، والبحرين)، التي بدأت في أواخر عام ٢٠١٠ وأوائل العام التالي ٢٠١١، تحدياتٍ لاستراتيجية لإيران، وقدَّمت لها في نفس الوقت مزايا بالمقابل. فقد دقّق صانعو القرار في إيران في منافع ومضار كلّ ثورة، وصاغوا موقفهم تجاه كل واحدة على حدا بما يناسب مصالحهم. إذ ترى طهران أنَّ الطابع «الثوري» أو «المحافظ» لأيٍّ من الثورات لا ينتج من عملية التعبئة الشعبية للسكان الساخطين على الأنظمة بحدِّ ذاتها، ولكن من تَصوُّرَين متشابكين: الأول هو مدى دعم طلائع الثورة للقيم الشبيهة بقيم إيران في سياق مواجهتها الطويلة مع الولايات المتحدة وإسرائيل؛ والثاني هو مدى تعزيز أيِّ ثورة لمكانة إيران الجيوسياسية في المنطقة أو تقويضها لتلك المكانة.

بالنسبة إلى إيران، كانت الثورات العربية على المدى المتوسط إلى الطويل تعني ظهور نظام إقليميٍّ جديد وأنظمةٍ سياسية جديدة تستمدُّ شرعيتها من سكان المنطقة ذوي الغالبية المسلمة[15]. وقد يعني ظهور مثل تلك الأنظمة ـ من وجهة نظر إيران- السعي لسياسةٍ خارجية أكثر استقلالًا في مواقفها تجاه العواصم الغربية، خصوصًا واشنطن. لذا، فقد قدَّروا أنَّ تغيير الترتيبات في المنطقة استنادًا إلى توجهات السياسة الخارجية الجديدة للأنظمة

على الرغم من المزايا الجيوسياسية المُمكنة التي كان لنجاح ثورات عربيّة أن يُقدمها لإيران إلا أنَّ الميوعة الأيديولوجية والطابع الائتلافي للثورات العربية في مراحلها المبكّرة، كانا من الممكن أيضًا أن يشُكّلا تهديدًا أيديولوجيًا لإيران

الصاعدة من شأنه إضعاف منافسي إيران[16]، ومن شأنه معاكسة استبعاد إيران من الترتيبات السياسية والأمنية الإقليمية منذ ١٩٧٩. ومن منظورٍ إيراني، فبعد عقودٍ من انعدام الأمن الجيوسياسي، عزَّز صعود الشعبوية والمشاركة السياسية نموذجَ إيران السياسي وشرعيتها، ومن ثَمَّ، عزَّز الأمن القومي الإيراني.[17]

أولاً: ثورات قبلتها ايران

على الرغم من المزايا الجيوسياسية المُمكنة التي كان لنجاح ثورات عربيّة أن يُقدمها لإيران إلا أنَّ الميوعة الأيديولوجية والطابع الائتلافي للثورات العربية في مراحلها المبكّرة، كانا من الممكن أيضًا أن يشُكّلا تهديدًا أيديولوجيًا لإيران. ويمكن تفسير اختيار إيران إعادة وصف الثورات العربية على أنَّها موجات "صحوة إسلامية"، مُستلهَمة من النموذج الثوري الإيراني بعدّة طرق؛ أولًا: ربما نظرت النخب الإيرانية إلى دور حركات الإسلام السياسي في الثورات، خصوصًا في مصر، عبر صورتهم الذاتية والتراث المتضارب من الصراعات البينية داخل النخبة الثورية بين عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩، التي انتهت بانتصار الفصائل الثورية الموالية للخميني. ثانيًا: ربما قرَّرت نخب طهران التأثير من الخارج في السرديات الوليدة لثورات الربيع العربي بهدف تحييد التهديدات الأيديولوجية المحتملة التي كانت تتبلور من عام ٢٠١٠ وحتى عام 2011. ثالثًا: مع سعي حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا إلى التسويق لنموذجه المتعلّق بالحكم السياسي والاقتصادي في البلدان العربية التي شهدت الثورات، ربما سعت إيران بتقديمها لنموذجها لتنافس تركيا أملًا بحصد ثمارٍ مبكِّرة.

ففي عام ٢٠١١، وصف المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية، آية الله سيد علي خامنئي، الثورات العربية بأنَّها «صرخة احتجاج في وجه الهيمنة الغربية»، و"مقدمة لتحوُّلٍ كبير ولحكم الإسلام"[18]. وتناول المرشد الأعلى «الديمقراطية الدينية» في خطابٍ له، مشيرًا لها كنموذج للحكم للبلدان التي تشهد تغيرات ثوريّة[19].وحذَّر الأصوليون/المحافظون، الذين يمثلون فصيلًا سياسيًّا قويًّا في

إيـران، مـن «العـودة المُقنَّعـة لعمـلاء الأنظمـة الديكتاتوريـة السـابقة» فـي بلـدان الربيـع العربـي، العـودة التـي تتضمَّـن «خطـرًا جسـيمًا متمثـلًا فـي إعـادة تأسـيس الأنظمـة التـي يسـيطر عليهـا الغـرب تحـت غطـاء الديمقراطيـة والحريـة»[20].

ونظرًا إلى القواسم الأيديولوجية المشتركة، فقد اعتقدت طهران أنَّ انتصار ثورةٍ يهيمن عليها الإخوان في القاهرة قد يُغيِّر الموقف العربي الجمعي تجاه إيران. وعلاوة على ذلك، أدركت إيران أهمية الطبيعة الانتشارية للثورة المصرية، إذ حاججت إحدى الروايات الإيرانية للثورات العربية بأنَّ التعبئة الثورية في المنطقة كانت ستؤدِّي إلى تآكل شرعية المؤسسة السعودية

ولـم يبـدُ أنَّ التصـورات الإصلاحيـة للثـورات العربيـة عنـد اندلاعهـا كانـت مختلفـةً كثيـرًا عـن نظيراتهـا الأصوليـة/المحافظـة. إذ صـرَّح الرئيـس الإصلاحـي الأسـبق محمـد خاتمي:»مصـر بحاجـةٍ إلـى نظـامٍ إسـلاميٍّ يشـبه نظـام إيـران«.[21] وفـي حيـن لا تمثِّـل رؤيـة خاتمـي بالضـرورة كامـلَ الحركـة ذات التوجـه الإصلاحـي، فإنَّهـا ربمـا تشـير إلـى هامشـية الاختلافـات بيـن نخـب الإصلاحييـن والأصولييـن/ المحافظيـن فـي نظرتهـم وتناولهـم للثـورات العربيـة فـي عـام ٢٠١١. وتعكـس ردود الفعـل الغالبـة مـن النخبـة الإيرانيـة علـى الربيـع العربـي، خصوصًـا المنتميـن إلـى فصيـل الأصولييـن/المحافظيـن، كيـف ربطـوا الأفكار الثورية بـ»الإسـلام السياسـي« و»معـاداة الإمبرياليـة«، وكيـف تـرى نخـب إيـران الإسـلامية رابطًـا عضويـاً بيـن الفاعليـن غيـر الإسـلاميين -أي العلمانييـن -والغـرب.

بالنظـر إلـى تأثيـر مصـر الجيوسـتراتيجي والتاريخـي والرمـزي فـي البلـدان العربيـة، كانـت الثـورة هنـاك هـي الأهـمَّ فـي المنطقـة بالنسـبة إلـى إيـران. ونظـرًا إلـى القواسـم الأيديولوجيـة المشـتركة، فقـد اعتقـدت طهـران أنَّ انتصـار ثـورةٍ يهيمـن عليهـا الإخـوان فـي القاهـرة قـد يُغيِّـر الموقـف العربـي الجمعي تجـاه إيران. وعـلاوة علـى ذلـك، أدركـت إيـران أهميـة الطبيعـة الانتشـارية للثـورة المصريـة، إذ حاججـت إحـدى الروايـات الإيرانيـة للثـورات العربيـة بـأنَّ التعبئـة الثوريـة فـي المنطقـة كانـت سـتؤدِّي إلـى تـآكل شـرعية المؤسسـة السـعودية، مـا سـيجعلها غيـر مسـتقرَّة علـى المـدى الطويـل[22]. الأكثـر مـن ذلـك أنَّـه فـي حـال حـدوث تغييـرٍ للنظـام فـي الريـاض أو إجـراء السـلطات إصلاحـاتٍ هيكليـة، سـيكون التقلُّـص التدريجـي للنفـوذ السـعودي فـي المنطقـة أحـد النتائـج المحتملـة[23]، الأمـر الـذي سـيعني بـدوره نفـوذًا إيرانيـاً أكبـر فـي البحريـن بعـد ثـورة ٢٠١١ علـى عائلـة آل

رحَّبت إيران بالثورات العربية لأنَّها كانت تعتبرها تغييرات اجتماعية-سياسية يُتوقَّع أن تُغيِّر المواقف السلبية تجاه طهران

خليفة الحاكمة. ومن بين كلّ الثورات العربية التي دعمتها طهران، حظيت ثورة المنامة بالدعم والتغطية الإعلامية الأقوى.

إن أحد أهم أهداف إيران يكْمُن في تغيير البِنيات السياسية والأمنية في بعض أجزاء منطقة الخليج التي أقصت إيران طويلًا وسمحت للقوى الخارجية مثل إسرائيل وتركيا بحيازة النفوذ.[٢٤] وخلقت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل تهديداتٍ بسبب سماحها لهذه الأخيرة، على نحوٍ غير مباشر، بوضع موطئ قدمٍ لها في المنطقة، ومن ثَمَّ التأثير في الأمن القومي الإيراني[25]. ويعكس نهج إيران تجاه الربيع العربي كيف حاولت نخب النظام تحقيق أقصى استفادةٍ من تطورات المنطقة لمعالجة أوجه القصور في أمن الخليج.

ثانياً: ثورات لم تقبلها إيران

رحَّبت إيران بالثورات العربية لأنَّها كانت تعتبرها تغييرات اجتماعية-سياسية يُتوقَّع أن تُغيِّر المواقف السلبية تجاه طهران. لكنَّ الثورة السورية ضد حزب البعث في سوريا لم تنجح في عملية التدقيق الإيرانية واعتُبِرَت تهديدًا أمنيًّا جسيمًا لوضع طهران الجيوستراتيجي الإقليمي، وفي نهاية المطاف تهديدًا لوجودها. وبدلًا من قبول الثورة على أنَّها انتفاضةٌ شعبية، اعتبرتها طهران محاولةً غربية-إسرائيلية-سعودية للإطاحة بحليف إقليميٍّ رئيس، وكمينًا لإيران. إذ أثبت النظام البعثي في دمشق أنَّه حليفٌ حيويٌّ لإيران في أثناء حرب السنوات الثماني مع الجارة العراق؛ فقد فرض عقوباتٍ اقتصادية، وأطلق حملاتٍ دبلوماسية، وآوى معارضين عراقيين مفيدين، وهو ما أرسى شراكةً استراتيجية بين دمشق وطهران. واختارت إيران مواجهة الثورة السورية لسببين رئيسين:

أولًا: للحفاظ على حدود إيران: يُجادل خبراء استراتيجيون إيرانيون بأنَّ فقدان سوريا، التي تُمثِّل جزءًا من ممرٍّ جغرافيٍّ بين إيران وشرق البحر المتوسط، لن يؤدِّي فقط إلى قطع طريق إيران إلى لبنان، بل أيضًا إلى تشديد الخناق على حدود العراق الغربية، مما سيُطوِّق إيران داخل العراق[26]. ورأت إيران أنَّ التصدِّي للثورة في سوريا، التي تعتبرها تهديدًا وجوديًّا، من شأنه أن يوجِّه ضربةً لـ«المؤامرة» الغربية-الإسرائيلية-السعودية الساعية للإطاحة بإيران عن طريق تطويقها.

قدَّمت إيران، أثناء تكوينها لقوات شبه عسكرية في سوريا والعراق استنادًا إلى نماذج تشكيلاتها الثورية، صورةً سلبية عن نفسها في المجتمعات العربية، خصوصًا بين العرب السُنة المُحبطين في منطقة المشرق. وأظهرت إصرار إيران على تشكيل الهياكل السياسية والعسكرية في البلدان العربية وفقًا لصورتها الذاتية

ثانيًا: للحفاظ على الطرق اللوجستية: فقد ثَبت أنَّ سوريا تحت حكم حزب البعث تُمثِّل طريقًا لوجستيًّا حيويّاً لإمداد حزب الله في لبنان والحركات الفلسطينية الرئيسة، وفي مقدمتها حركتا حماس والجهاد الإسلامي[27]. ولأن سوريا كانت عمليًا مركزًا لإمدادات السلاح لكلٍّ من الحركات شبه العسكرية والقوات الحليفة شبه العسكرية، جعلها ذلك طرفًا لا يمكن الاستغناء عنه في تعزيز قدرات إيران لضرب إسرائيل، وهو ما يُعزِّز مصداقيتها باعتبارها المُدافِعة الرئيسة عن القضية الفلسطينية. وفي حال تحقَّق السيناريو المُتخيَّل المتمثِّل في تولّي نظامٍ متحالف مع الغرب مقاليد الأمور في سوريا، ما كانت إيران لتستطيع استخدام سوريا طريقًا لوجستيًّا، وعجزُ إيران عن استخدام سوريا لدعم قواتها شبه العسكريّة ولدعم الحركات الفلسطينية المسلّحة المتحالفة معها، يعني تآكلًا لمبرر وجودها هناك.

في البداية، أضاف التدخُّل الإيراني في جانب النظام السوري بُعدًا طائفيًّا في تصوُّر العرب في المنطقة (لا سيما السُنَّة). وعزَّزت الوسائل التي استخدمتها إيران لمواجهة الثورة السورية هذا البُعد الطائفي للتصوُّر العربي (السُنِّي) بشأن التدخُّل الإيراني؛ إذ استخدمت إيران استراتيجيتين لسحق الثورة السورية التي تحوَّلت إلى مُعارضةٍ مسلّحة، ولإنقاذ نظام البعث في سوريا من الانهيار:

الأولى: تشكيل قواتٍ شبه عسكرية سورية تشبه في تنظيمها التشكيلات شبه العسكرية الإيرانية، وتدريبها (على سبيل المثال، قوات الدفاع الوطني)[28].

الثانية: حشد مقاتلين أجانب شيعة ونشرهم في ساحة المعركة بسوريا تحت إشراف قوة النخبة المعروفة بفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني ضد كلٍّ من المعارضة السورية المسلّحة، والأفرع التابعة لتنظيمي القاعدة وداعش.

قدَّمت إيران، أثناء تكوينها لقوات شبه عسكرية في سوريا والعراق استنادًا إلى نماذج تشكيلاتها الثورية، صورةً سلبية عن نفسها في المجتمعات العربية، خصوصًا بين العرب السُنة المُحبطين في منطقة المشرق. وأظهرت إصرار

إيـران علـى تشـكيل الهيـاكل السياسـية والعسـكرية فـي البلـدان العربيـة وفقًـا لصورتهـا الذاتيـة. فشـلت إيـران فشـلًا كبيـرًا فـي مسـعاها لنشـر أيديولوجيتهـا الثوريـة علـى أسـاس مُتجـاوز للطائفـة فـي سـوريا والعـراق، وجزئيًـا كان هَـدَفَ هـذا المسـعى أن يُقـدّم طهـران علـى أنهـا قُـوّة مُوحّـدة للمسـلمين فـي المنطقـة.

ثانيًا: السياسة الإيرانية بعد الربيع العربي: بناء الجسور للحفاظ على المكاسب

تحـاول إيـران الآن بنـاءَ الجسـور مـع العـرب السُّـنة فـي هـذه المنطقـة الفرعيـة والشـرق الأوسـط الأوسـع لإصـلاح صورتهـا، والحفـاظ علـى مكاسـبها، بـل وحتـى لتوسـيع مصالحهـا ونفوذهـا الجيوسياسـي، ولكـن هـذا بعـد أن حقّقـت مكاسـب جيوسياسـية واسـعة فـي منطقـة المشـرق عبـر مسـاعدة نظـام الأسـد علـى التصـدّي للمعارضـة السـورية المسـلّحة وتنظيـم الدولـة الإسـلامية فـي سـوريا والعـراق «داعـش». فتحقيـق وضعيـة شـبه مُهيمنـة فـي المنطقـة يتطلّـب التوصُّـل إلـى شـكلٍ مـن أشـكال القبـول بيـن الأطـراف المُتضـرِّرة مـن جـرَّاء عمليـات انتـزاع القـوة مـن جانـب إيـران، وهـو مـا قـد يحـدث إن تمكَّنـت إيـران بنجـاحٍ مـن إعـادة الترويـج لدورهـا فـي المنطقـة.

تحاول إيران الآن بناءَ الجسور مع العرب السُّنة في هذه المنطقة الفرعية والشرق الأوسط الأوسع لإصلاح صورتها، والحفاظ على مكاسبها، بل وحتى لتوسيع مصالحها ونفوذها الجيوسياسي، ولكن هذا بعد أن حقّقت مكاسب جيوسياسية واسعة في منطقة المشرق عبر مساعدة نظام الأسد على التصدّي للمعارضة السورية المسلّحة وتنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق

أظهـر اسـتطلاع رأي لمركـز الجزيـرة للدراسـات فـي يناير/كانـون الثانـي ٢٠١٦، قَـاسَ تصـورات النخـب العربيـة بشـأن إيـران وقـوع تحـول كبيـر فـي تصـورات النخـب العربيـة لإيـران قبـل الربيـع العربـي وبعـده. إذ يعتقـد ٧٨٪ مـن المشـاركين فـي الاسـتطلاع أنَّ موقـف إيـران تجـاه الربيـع العربـي كان سـلبيًا[29]، وأعـرب ٨٢٪ مـن المشـاركين عـن رأيهـم بـأنَّ صـورة إيـران فـي البلـدان العربيـة تدهـورت مقارنةً بمرحلـة مـا قبـل الربيـع العربـي (انظـر: شـكل ١)[30]. عـلاوة علـى ذلـك، لـم يـرَ ٩٢٪ من المشـاركين أنَّ نظـام الحكـم الإيرانـي نمـوذجٌ جيـد[31]. وقيَّـم ٨٩٪ منهـم العلاقـات السياسـية العربيـة-الإيرانيـة باعتبارهـا سـيئة.[32] واعتقـد أقـلُّ مـن ثلثهـم بقليـل أنَّ العلاقـات ستتحسـن علـى مـرِّ السـنوات الخمـس التاليـة، فـي حيـن توقَّـع ٢١٪ أن

تظلّ العلاقات على وضعها الحالي. وتنبَّأ النصف تقريبًا بأن تسوء العلاقات السياسية العربية-الإيرانية مقارنةً بوضعها الحالي[33].

الشكل (1)

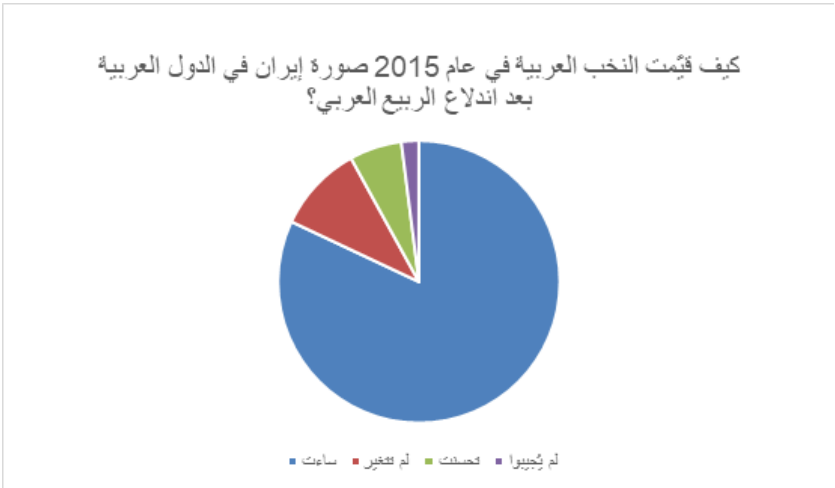

المصدر: مركز الجزيرة للدراسات

وعلى الرغم من هذه النتائج، فما زال بعض المشاركين يرون أن هناك أرضيةً مشتركة مع إيران. إذ اعتقد ٨٩٪ منهم أنَّ العرب والإيرانيين بينهم قواسم مشتركة تجمعهم، وقال نصف المشاركين إنَّهما أمتان منفصلتان بينهما قواسمُ مشتركة. وأجاب الثلث بأنَّ الجانبان يمثلان أمّة مسلمة واحدة[34]. في حين دعمت نسبة ٨١٪ وجود علاقاتٍ قوية بين الدول العربية وإيران، ودعمت نسبة ٦٩٪ تأسيس هيئة أمنية إقليمية مشتركة تتكوَّن من دول الخليج العربية وإيران[3536]، واعتقد ٥٨٪ من المشاركين أنَّ إيران ليست جادَّةً بشأن بناء علاقاتٍ جيدة مع الدول العربية.[37]

استطلاع رأي آخر أُجري في أكتوبر/تشرين الأول من عام ٢٠١٦ عن تصورات (أعضاء) حركات الإسلام السياسي التابعة للإخوان في المنطقة، يوضّح وجهاتِ نظر الفاعلين العرب النافذين حيال إيران بعد الربيع العربي بصورة أكبر (انظر: شكل ٢). ووفقًا للاستطلاع، فقد قال ٩٠٪ من المشاركين إنَّ موقف إيران تجاه الربيع العربي كان سلبيًا.[38] وقال نحو ٩٥٪ إنَّ صورة إيران في

البلدان العربية تدهورت مقارنةً بفترة ما قبل الربيع العربي.[39] ولم يعتبر ١٠٠٪ تقريبًا من المشاركين في هذا الاستطلاع أنَّ نظام الحكم الإيراني نموذجٌ إيجابيٌّ. وفي هذا الاستطلاع، قيَّم 95% من المشاركين العلاقات السياسية العربية-الإيرانية باعتبارها سيئة.[40]

شكل (٢)

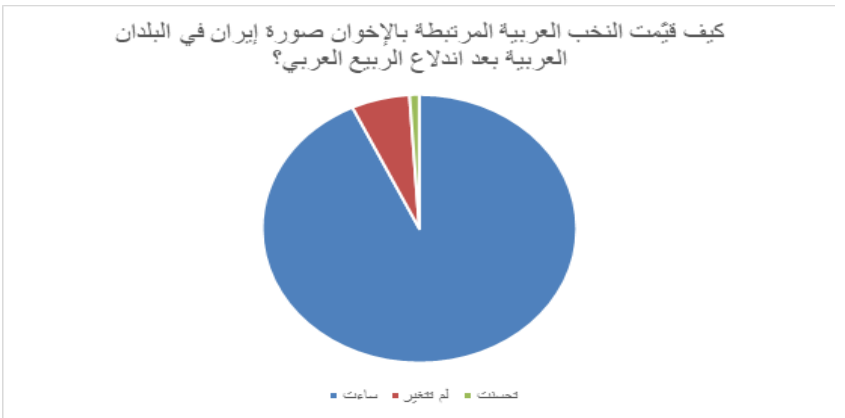

المصدر: مركز الجزيرة للدراسات

وكان ١٢٪ فقط متفائلين بأنَّ العلاقات العربية-الإيرانية ستتحسَّن على مرِّ السنوات الخمس التالية، في حين توقّع 17% أن تظلَّ العلاقات على وضعها الحالي، وتوقّع ٧١٪ بأن تسوء العلاقات مقارنةً بوضعها الحالي. واعتقد ثلاثة أرباع المشاركين أنَّ الإسلام عاملٌ مُوحِّد في العلاقات العربية-الإيرانية[41]. واعتبر ثلاثة أرباع المشاركين كذلك أنَّ الجغرافيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عاملٌ مُوحِّد، في حين رأى ٧١٪ أنَّ التاريخ يُمثِّل أرضيةً مشتركة. ورأى ٦٣٪ من المشاركين أنَّ التحديات الخارجية التي تواجه المنطقة قوةٌ مُوحِّدة في العلاقات العربية-الإيرانية[42].

تُظهِر مقارنة نتائج هذين الاستطلاعين أنَّ التصورات السلبية تجاه إيران موجودةٌ حتى في صفوف نخب حركات الإسلام السياسي، على الرغم من القواسم الأيديولوجية الإسلامية المشتركة بينها وبين إيران. وتُظهِر استطلاعات الرأي التي تُجرى في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

ولتغيير الصورة السلبية لإيران في المنطقة وداخل حركات الإسلام السياسي السُنيّة، تسعى طهران حاليًا لتوسيع تواصلها مع حركات الإسلام السياسي السُنيّة الشعبية، لا لمحاولة إيران استخدام التأثير الجماهيري الكبير لتغيير الصورة السلبية لإيران فحسب، ولكن أيضًا بسبب تفضيلاتها الأيديولوجية

أنَّ الدين -وبالتحديد الإسلام - يسهم بصورة كبيرة في التصورات المتعلقة بالهُوية هناك. ويعكس استطلاع رأي أجراه معهد زغبي لاستطلاعات الرأي العام عن المواقف تجاه الدين في العديد من دول المنطقة، مدى قوة ارتباط المستطلعة آراؤهم بالدين من ناحية دوره التأسيسي في الهُوية والدور المهم الذي يؤدّيه في المجال العام[43]. وفي حين لا يرتبط التديُّن بالضرورة بدعم الحركات السياسية ذات الأجندات الدينية في المنطقة (مثل حركات الإسلام السياسي)، فإنَّ القبول السياسي الذي تحظى به حركات الإسلام السياسي لدى شرائح معتبرة من المجتمعات العربية قويٌّ جدًا، على الرغم من تراجع الدعم الشعبي للكثير من تلك الحركات بعد ثورات الربيع العربي، لا سيما الإخوان.

ولتغيير الصورة السلبية لإيران في المنطقة وداخل حركات الإسلام السياسي السُنيّة، تسعى طهران حاليًا لتوسيع تواصلها مع حركات الإسلام السياسي السُنيّة الشعبية، لا لمحاولة إيران استخدام التأثير الجماهيري الكبير لتغيير الصورة السلبية لإيران فحسب، ولكن أيضًا بسبب تفضيلاتها الأيديولوجية. فإيران راغبة بالتأثير في رؤية واستراتيجيات قيادة حركات الإسلام السياسي، وأعضائها الرئيسين، وتصوُّرات قاعدة الدعم الشعبية لتلك الحركات في نهاية المطاف. ولدى إيران علاقاتٌ طويلة الأمد مع حركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين، وما زالت هذه العلاقات مستمرةً في التطوُّر. وتسعى إيران في الوقت الراهن لتحسين علاقاتها مع الإخوان المسلمين، لا سيما الجماعة الأم في مصر التي كانت تاريخيًا في طليعة التنظيم الدولي للإخوان، على الرغم من موقفها الدولي الذي أُضعِف كثيرًا بعد الانقلاب العسكري. وربما تهدف إيران كذلك إلى معالجة علاقاتها الإشكالية مع إخوان مصر تمهيدًا لتحسين علاقاتها مع الأفرع الإقليمية للإخوان في البلدان العربية الأخرى. وقد يسهم ذلك أيضًا في تحسين صورة إيران المُحطَّمة وتعزيز مكانتها الجيوسياسية في المنطقة. وبدلًا من اتكال إيران على العلاقات مع الدول الفاعلة في المنطقة من أجل تعزيز مصالحها الإقليمية، قد تكون الجمهورية الإسلامية أحرصَ على إقامة علاقاتٍ مع المجتمعات المحلية والجماعات المسلحة غير

وكي تتواصل إيران بفعالية مع المجموعات المفتتة داخل الجماعة المصرية، تواصلت مع كثيرٍ من القيادات لمناقشة كيف يمكن لإخوان مصر استعادة السلطة في القاهرة . وفي هذا السياق، تتمثَّل سياسة إيران تجاه إخوان مصر في التواصل مع كلِّ الفصائل كي تتجنَّب جعل نفسها مصدرًا للخلاف

الحكومية عن طريق نهجٍ يتدرج من القاعدة إلى القمّة. ووفقًا لأحد المصادر، فإنَّ إيران مستعدَّة للانخراط مع إخوان مصر من أجل التوسُّط بين إخوان اليمن (حزب الإصلاح) وحركة أنصار الله (جماعة الحوثي) لإنهاء الصراع في اليمن[44].

عبَّر صانعو السياسات الإيرانيون والباحثون المرتبطون بمؤسسة الحكم ممّن أُجريت معهم مقابلات في منتصف عام 2017، عن حماسةٍ مُغلَّفةٍ بالحذر تجاه تحسين العلاقات مع إخوان مصر. ويُعَدُّ القاسم المشترك الأساسي بين إيران وإخوان مصر هو المكانة المحورية التي تتخذها الأمة الإسلامية في رؤية كلٍّ منهما للعالم.[45] ووفقًا لوجهة نظرٍ أصولية/محافظة، فإن إيران تعتبر جماعة الإخوان المسلمين (ليس فقط إخوان مصر بل التنظيم الدولي كذلك) أفضل شريكٍ سُنّي في توحيد الأمة سياسيًّا ووصل الأمر حتى إلى أنَّ المرشد الأعلى الحالي في إيران ترجم بعض أعمال سيد قطب -المُنظِّر التاريخي لإخوان مصر- إلى اللغة الفارسية، وهو الموقف الذي كثيرًا ما يُعرَض لإظهار التقارب الأيديولوجي الإيراني مع إخوان مصر، والقاسم المشترك القوي الذي تتشاطره الأمة الواحدة[46]. وبالرغم من القواسم الأيديولوجية المشتركة بينهما، فإنَّ المنظور الإيراني يتمثَّل في أنَّ الشراكة مع الإخوان المسلمين يجب ألَّا تعني التخلِّي عن المبادئ والقيم الأساسية لأيٍّ من الجانبين (إيران وإخوان مصر)[47]. وفي حين يقول الجانب الإيراني إنَّه ليس راغبًا في رؤية إخوان مصر يتنازلون عن مبادئهم وقيمهم الأساسية في أيِّ انخراطٍ مع إيران، فإن لديه تحفُّظًا خاصًا بشأن التحولات الأيديولوجية الداخلية الممكنة داخل الجماعة، التي قد تُقوِّض تأثير الدين في أجندة الجماعة السياسية. وهناك بالتحديد تحفُّظات تتعلَّق بفصل الدعوة عن السياسة، وهو ما قد يعني تحرُّر (لبرلة) الجماعة بصورة مماثلة لما فعلته جماعة الإخوان المسلمين في تونس عبر حزب النهضة. ومع ذلك، فإن الجانب الإيراني لا يبدو قلقًا كثيرًا ما دامت هذه التغييرات تكتيكيةً.

ويتمثَّل أحد أهداف إيران المحتملة طويلة الأجل في المنطقة في إحداث تغييرٍ داخل حركات الإسلام السياسي السُنيّة عن طريق نشر الأفكار الثورية.

وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل إيران لا ترغب في رؤية جماعة الإخوان المصرية تفصل بين ثنائية الدعوة والسياسة، الذي بالتبعية سيجعل تبنِّيها أيديولوجيةً ثورية شبيهة بأيديولوجية إيران أمرًا أصعب؛ لأنَّ نتيجة هذا الفصل ستكون التحرُّر الضمني. وفي هذا السياق، قالت شخصية إيرانية إنَّ جماعة الإخوان المسلمين المصرية ما دامت تحافظ على مبادئها التاريخية (أي ثنائية الدعوة والسياسة)، فإنَّ «الاختلافات التنظيمية» الحالية بين الفصائل المتنافسة داخل الجماعة لا تُهدِّد وجود الجماعة بدرجة كبيرة[48]. وفي حين تحافظ إيران على قنوات التواصل التاريخية مع النخب الإسلامية السُنيّة تماشيًا مع ميلها إلى استراتيجية تتدرَّج من القاعدة حتى القمّة، تبدو طهران أكثر استعدادًا للانخراط مع جيل الشباب في حركات الإسلام السياسي بدلًا من شيوخهم. فبينما يسيطر الشيوخ على مناصب القيادة العليا، سيكون جيلٌ جديد لديه تصورات جديدة (وأكثر تعاونًا) نسبيًا تجاه إيران قادرًا على الضغط باتجاه إحداث تغييراتٍ في رؤى الجماعة إذا ما جرت ترقيتهم إلى مناصب الإدارة المتوسطة أو العليا في المستقبل.

ومع أنَّ هناك اهتمامًا إيرانيًا واضحًا بالتوصُّل إلى تقاربٍ مع إخوان مصر، على الأقل على أساسٍ براغماتي، فإنَّ صانعي السياسة والأكاديميين الإيرانيين يحاججون بأنَّ السياسة الخارجية المصرية الفاترة تجاه إيران حين كان إخوان مصر في السلطة من قبل بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، أوجدت إرثًا من عدم الثقة لدى إيران تجاه الإخوان

عقب انقلاب يوليو/تموز ٢٠١٣ العسكري في القاهرة، مرَّ إخوان مصر بعملية تفتُّتٍ تنظيميٍّ قادت إلى ظهور فصيلين قياديين، فضلًا عن فصيلٍ ثالثٍ صغير شبه متمرِّد ذي ترابط داخليٍّ ضعيف، لكنَّه متطرِّف وآخذٌ في التنامي، تقوده شريحة من شباب الجماعة المُحبَط (سيُوضَّح ذلك تفصيلًا في القسم الثاني من هذا التقرير). وكي تتواصل إيران بفعالية مع المجموعات المفتتة داخل الجماعة المصرية، تواصلت مع كثيرٍ من القيادات لمناقشة كيف يمكن لإخوان مصر استعادة السلطة في القاهرة[49]. وفي هذا السياق، تتمثَّل سياسة إيران تجاه إخوان مصر في التواصل مع كلِّ الفصائل كي تتجنَّب جعل نفسها مصدرًا للخلاف؛ لأنَّ عدم التواصل مع كلِّ الفصائل سيُنظَر إليه باعتباره إظهارًا للمحاباة من جانب إيران[50]. وفيما يتعلَّق بانفتاح إيران على الفصيل الثالث، الذي يدعو إلى التغيير العنيف للنظام في مصر، فالواقع أنَّ هذا الفصيل ـ من وجهة نظرٍ إيرانية ـ لا يخدم قضية إخوان مصر في البلاد فعلًا.[51] وفي هذا

السياق، ومع انتشار التطرُّف الذي نشره السلفيون الجهاديون في المنطقة، يعتقد أحد صانعي السياسات الإيرانيين أنَّ داعش والمجموعات المتطرِّفة الأخرى ستحل يومًا ما محلَّ الإخوان. بعبارة أخرى، إن فشل الإخوان في المنطقة من شأنه تأجيج التطرُّف[52]. لكن ربما لا تتشارك كلُّ المؤسسات النافذة في إيران هذا المقاربة بصورة كاملة. فوفقًا لوكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، ففي ندوةٍ عُقِدت في طهران في ديسمبر/كانون الأول من عام ٢٠١٧ عن الإرهاب والتطرف والأمن في غرب آسيا، ألقى وزير الاستخبارات الإيراني حجّة الإسلام محمود علوي باللوم في الجذور التاريخية للإرهاب على الإخوان في مصر والوهابية في السعودية[53]. وفي حين أنَّ هذا ذُكِر على الأرجح في سياقٍ تاريخيٍّ، فإنَّ التصريح الذي صدر عن الرئيس الحالي للجهاز الأمني الإيراني القوي قد يبعث برسائل مختلطة إلى إخوان مصر وحركات الإسلام السياسي السُنيّة الأخرى في المنطقة. لكنَّ التصريح أيضًا ربما يعكس وجهة نظرٍ شخصية أكثر من كونها وجهة نظرٍ مؤسسية.

ويمكن لتسوية الصراع السوري أن تُعيد الحياة من جديد إلى العلاقات بين الجانبين بعد أن أضرّ الصراع بالحوار بين المذاهب نظرًا إلى إسهامه في تأجيج الفتنة الطائفية في المنطقة بين السُّنة والشيعة

في عام ٢٠١٧، أفادت تقارير بأنَّ هناك مبادرةً أطلقها ودعمها المرشد الأعلى الإيراني للتصالح مع التنظيم الدولي للإخوان.[54] وبدا أنَّ هذا المسعى تقوده في الأساس وزارة الخارجية الإيرانية، تتبعها في ذلك منظماتٌ غير حكومية لها صلات بالحرس الثوري الإيراني (وقوات الباسيج)، ويحاول كلا الطرفين التواصل على نطاقٍ واسع، من مستويات السياسة العليا وحتى المنصات الشبابية. وفي إيران، يُقال إنَّ ملف الإخوان تقليديًا في يد الحرس الثوري[55]، لكنَّ مؤسسات أخرى قد تُكلَّف بالتواصل مع إخوان مصر بطرقٍ معيّنة. ووفقًا لإحدى الروايات، فعلى الرغم من تعاطف المرشد الأعلى الإيراني تجاه إخوان مصر بعد الإطاحة بهم من السلطة، يُقال إنَّ بعض الشخصيات/الدوائر الدينية المُقرَّبة منه لديها مأخذ أقل استحسانًا تجاه إخوان مصر (وغيرها من حركات الإسلام السياسي التابعة للإخوان) مقارنةً بفصائل أخرى أصولية/مُحافِظة تعمل في حقولٍ مؤسسية أخرى.[56] وبعيدًا عن التعاطف الشخصي من جانب المرشد الأعلى، فإنَّ المواقف المحتملة المذكورة أعلاه في دوائر المرشد الأعلى المُقرَّبة يُعتقَد أنَّها نتجت كردِّ فعلٍ على توقعاتهم العالية

تجاه إخوان مصر حين تؤليهم للسلطة[57]. لكنَّ الاتصالات البينية المكثّفة بين الدوائر السياسية للمرشد الأعلى والحرس الثوري تبقى مهيمنةً رغم التصورات المتغيِّرة للنخبة تجاه الإخوان. وبسبب التداخل المؤسسي (فالشخصيات السياسية البارزة غالبًا ما تتولّى أكثر من منصب حكوميٍّ في الوقت نفسه) ، فمن الصعب التفرقة بوضوح بين المقاربات السائدة في مختلف مؤسسات صنع السياسة بشأن ملف الإخوان، وهو الأمر الذي يضيف احتمالية أنَّ كلَّ مؤسسة بإمكانها انتهاج مقارباتٍ مختلفة تجاه الملف[58].

لكن بوجهٍ عام، ترى إيران أنَّ الأزمة الخليجية التي اندلعت في منتصف عام ٢٠١٧ كانت فرصةً لفتح قنوات تواصلٍ مع إخوان مصر وغيرها من حركات الإسلام السياسي في المنطقة التي ما زالت تحافظ على علاقاتٍ مع قطر، مع أنَّ أحد المصادر ادَّعى آنذاك أنَّ التواصل بين الجانبين لم يشهد تقدمًا كبيرًا حتى ذلك الوقت (أي وقت مقابلة المؤلفين مع هذه الشخصية)[59]. ومع أنَّ هناك اهتمامًا إيرانيًّا واضحًا بالتوصُّل إلى تقاربٍ مع إخوان مصر، على الأقل على أساسٍ براغماتي، فإنَّ صانعي السياسة والأكاديميين الإيرانيين يحاججون بأنَّ السياسة الخارجية المصرية الفاترة تجاه إيران حين كان إخوان مصر في السلطة من قبل بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، أوجدت إرثًا من عدم الثقة لدى إيران تجاه الإخوان، الذين كانت لديهم في السابق بعض خطوط التواصل مع إيران. وبافتراض أنَّ إخوان مصر يسعون جديًا للتقارب في مرحلة ما بعد الربيع العربي، تساءل أحد الباحثين الإيرانيين قائلًا: «مَن بالتحديد داخل الإخوان يريد التقارب (في إشارة إلى حالة التفتُّت الداخلي في الجماعة)؟ وما الذي يهدف إليه إخوان مصر من هذ التقارب؟ إنَّ الكرة في ملعبهم لاتخاذ خطوة».[60] وعمومًا، يرى الجانب الإيراني عاملين اثنين وراء التردُّد المُحبِط من جانب إخوان مصر لاستعادة العلاقات الدبلوماسية مع إيران حين كانوا في السلطة:

ثمة رسائلَ سعودية وصلت إلى القاهرة أنها غير راضيةٍ عن التواصل مع إيران في هذا الملف، بدعوى أن إيران جزءٌ من الأزمة السورية، ولن تكون جزءًا من الحل

- أولًا: كان إخوان مصر عاجزين عن التفوق في مناورتهم ضد الدولة العميقة (المؤسستين الأمنية والعسكرية) التي بدت عمومًا مُعارضةً لاستئناف العلاقات مع إيران، ولم يكن إخوان مصر جريئين بنفس قدر نظرائهم الثوريين الإيرانيين في اقتلاع جذور النظام القديم[61][62].

- ثانيًا: وهو الأهم، يرى مسؤولو الحرس الثوري أنَّ الإخوان حين كانوا في السلطة خضعوا للسعودية، المُنافِسة الإقليمية اللدودة لإيران، وحاولوا استرضاءها على حساب إيران.[6364]

وفي حين كانت ردود الشخصيات النافذة ووسائل الإعلام المرتبطة بالمؤسسة الإيرانية تجاه الانقلاب العسكري على الرئيس المنتخب محمد مرسي مُتشفِّيةً على استحياء، بحسب بعض المراقبين العرب فإن هذا الخطاب لم يستمر؛ لأنَّ استعداء إخوان مصر في المنطقة لن يخدم مصالح إيران الاستراتيجية على المدى القصير. وفي حين كان إخوان مصر أضعفَ من أيٍّ وقتٍ مضى بعد الانقلاب العسكري، كانت إيران ما زالت تعتبرهم قوَّةً مهمةً من ناحية القوتين البشرية والاقتصادية[65]. وينظر الجانب الإيراني إلى الأزمة الخليجية التي اندلعت في منتصف عام ٢٠١٧ على أنَّها فرصةٌ لتحسين العلاقات بين إيران وإخوان مصر في وقتٍ يتزايد فيه التقارب بين قطر وتركيا وإيران.

السرَّ في تغير الموقف الإخواني إبان حكم الرئيس المنتخب ديمقراطيًا مرسي، كان في الابتزاز الإعلامي- الذي كان موجودًا من قبل الثورة، لكنه وصل ذروته عقب الثورة المصرية - من قِبل التيارات السلفية الأصولية، التي تأخذ على جماعة الإخوان تواصلها مع «الشيعة» بشكل عام. وتتحمّل السعودية المسؤوليةَ بشكل كبير عما يمكن تسميته بـ«انقلاب» الإخوان على إيران عقب الثورة

تحتفظ إيران وإخوان مصر بقنوات تواصلٍ منتظمة عبر الحوارات الدولية بين المذاهب التي تجمع شخصياتٍ بارزة من حركات الإسلام السياسي السُنيّة والشيعية. وبينما قد تُمثِّل فعاليات كهذه منصاتٍ يمكن أن يتعرَّض فيها الفاعلون المختلفون لمقارباتٍ مختلفة، فإنَّ إحدى وجهات النظر الإيرانية تقول إنَّ ذلك على الأرجح لن يُحدِث تغييرًا في العلاقات بين إيران وإخوان مصر[66]. ويمكن لتسوية الصراع السوري أن تُعيد الحياة من جديد إلى العلاقات بين الجانبين بعد أن أضرّ الصراع بالحوار بين المذاهب نظرًا إلى إسهامه في تأجيج الفتنة الطائفية في المنطقة بين السُنة والشيعة[6768]. وتُظهِر آليات العمل الداخلية للّقاءات رفيعة المستوى التي تُعقَد بين الشخصيات السُنيّة والشيعية البارزة كيف أنَّ فهم الجيوبولتكس المتغيّر في المنطقة مهمٌ جدًا لفهم أنماط العلاقات بين إيران وحركات الإسلام السياسي السُنيّة في المنطقة، بصرف النظر عن أوجه التشابه والتباين الأيديولوجية والدينية.

القسم الثاني: إخوان مصر وإيران: انكشاف الهشاشة والارتدادات

أ: الربيع العربي: نقطة انطلاق جديدة للجماعة الأم في إعادة صياغة علاقاتها الخارجية

تُعد ثورات الربيع العربي التي اجتاحت المنطقة في مطلع العام ٢٠١١ مرتكزًا رئيسًا لفهم تطورات العلاقات الخارجية لجماعة الإخوان المسلمين المصرية مع الفواعل الإقليمية من الدول (التقليدية والصاعدة)، مع الأخذ في الاعتبار أن الجماعة الأم في مصر تمتلك إرثًا من العلاقات الإقليمية والدولية منذ نشأتها على يد مؤسسها حسن البنا في العام ١٩٢٨. وقد تطوَّر هذا الإرث وأخذ أشكالًا عدَّة بين اتساع هوّات وفجوات من جانب، وتحالفات وتفاهمات من جانب آخر. لكن الملاحظ في الألفية الجديدة أن سمات السياسة الخارجية لإخوان مصر حاولت ألا تتخذ شكلًا استفزازيًا لخطّ السياسة الخارجية للدولة المصرية إبّان حكم الرئيس الأسبق حسني مبارك وكذلك الخليج الذي يُعد أحد أهم مراكز ثقل الجماعة المالية، وخاصةً فيما يتعلق بالعلاقات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية القابعة تحت الحصار والعقوبات الدولية.

حتى وإن احتفظت الجماعة المصرية بتاريخ من التطلعات المتبادلة بين النظام الإسلامي الناشئ على أنقاض نظام الشاه في إيران وبين الجماعة السُنية الحركية الأكبر في العالم الإسلامي (المنطلقة من مصر)، فقد احتفظ الجانبان بعلاقاتٍ شبه ودّية تفتر تارةً وتستعر تارةً أخرى بحسب مجريات أمور الإقليم، مع وجود تحفظات كلٍّ جانب على الآخر. إلا أن جماعة الإخوان المسلمين المصرية كانت تفضل ألا تنخرط داخلياً في تطبيع كامل مع الجانب الإيراني، وتركت ما يُعرف بـ «التنظيم الدولي» الذي يشبه الهيئة التنسيقية الشكلية بين قيادات الجماعة في الأقطار المختلفة للتنسيق الدوليّ، ترك للتنظيم الدولي أن يُدير هذا الملف ويتفاعل معه، خاصةً في مشروعات التقريب بين المذاهب التي تصدَّت الجماعة ورموزها لقيادته مع الإيرانيين.

يمكننا الآن ملاحظة تأثر قواعد الجماعة بالبروباجندا السعودية تجاه إيران، وهو الأمر الذي أدَّى إلى حدوث تحوُّل تدريجيٍّ في مستوياتٍ قيادية حول الموقف من إيران. وبالعودة إلى فترة مرسي، فإنه لا يُستبعد أن يكون الضغط الخارجي أيضًا من قبل الولايات المتحدة وغيرها أحدَ أسباب التباعد مع إيران، كما أن الموقف الإيراني من الثورة السورية كان عاملًا مهمًا

ومع هذا الإرث المتبادل، كان الطرفان ينتظران من بعضهما البعض تفعيل المشتركات التي تحدثوا عنها نظرياً في العديد من المحافل، وتخطّي الحواجز الداخلية المصرية والإقليمية للانفتاح الإيجابي، إلا أن وضع الإخوان الداخلي في مصر آنذاك لم يكن يسمح بهامشٍ أوسع للعلاقة، مع وجود تقدير إيرانيٍّ لحدود قدرات الجماعة وتصرفها آنذاك.

أولاً: ما بعد يناير: علاقات غير حميمية بين «الجماعة الأم» وإيران

استغلّ الإخوان المسلمون لحظات انفتاح ما بعد الثورة المصرية لبلورة سياسات علاقاتهم الخارجية التي كانت قائمةً على التحالف مع الفاعلين الإقليميين الصاعدين الذين تبنّوا «مشروعات حركات الإسلام السياسي» وعدم معاداة تيار التغيير، وقد كانت هذه الحركات بقواعدها الاجتماعية تمتلك الحظوظ الأوفر للوصول إلى سدّة الحكم في بلدان الربيع العربي. وكان ذلك مع حرص يشوبه الحذر من عدم استعداء القوى التقليدية في الإقليم، وبالأخص في منطقة الخليج التي كانت تنظر بعينٍ غير راضية عن صعود الحركات الإسلامية بهذه السرعة، فتبعًا لهذه السياسات كانت قطر وتركيا وإيران نظريًا هي الدول الأقرب لجماعة الإخوان المسلمين في مصر لتوافر العوامل السالف ذكرها في سياستها الخارجية.

إلا أن الطرف الإيراني فوجئ بأن الائتلاف الذي كان يُفترض أن يكون رباعيًا، تشكّل ثُلاثيًا من دونه، وتجاهلت الجماعة في مصر المسافات التي حاولت إيران أن تقطعها باتجاهها؛ إذ رأت الجماعة أن تقدّم وجهًا إقليميًا معتدلًا في سياستها الخارجية، وكذلك غير معادٍ للمحور الخليجي على سبيل المثال بصفته متوجّسًا خيفة من المحور الذي كان في طور التشكل من دون إيران، فلم يكن تفكير الإخوان وقتها ليتجه نحو إيران لتوسيع الهوّة مع الطرف الخليجي المتربص. وهكذا لم تكن العلاقات بين الطرفين بالحميمية المنتظرة، وكان للإخوان المسلمين حساباتٌ أخرى طغت على إرث التوقعات الذي كان يحفّز طهران للاتجاه نحو الشراكة مع فاعل إسلاميٍّ سنيٍّ لديه فرص متزايدة في حجز مقعدٍ رئيس في المشهد المصري الذي كان محرّمًا من قبل على إيران.

سارت الجماعة في سياستها الخارجية التي خطّتها بناءً على قراءتها للمشهد الإقليمي المتوجّس، حتى صعدت إلى كرسي الرئاسة عبر مرشحها محمد مرسي الذي تولّى المنصب منتصف العام ٢٠١٢، وهنا ارتأت إيران أن الفرصة ما زالت سانحةً لإعادة بلورة نوعٍ من الشراكة على صعيدٍ أكثر رسميةً، لكنّ ممثلي

الجماعة في الحكم لم يغيروا كثيرًا في الموقف المتحفِّظ من العلاقات مع إيران. إذ عمدت سياسة الرئيس الجديد إلى التهدئة من روع الجانب الخليجي (السعودي - الإماراتي)، وكانت أولى زيارات محمد مرسي الخارجية إلى المملكة العربية السعودية، مع إيفاد الرسائل تلو الرسائل عبر القنوات الخلفية على عدم اعتزام الإدارة الجديدة إحداث ثورةٍ في السياسة الخارجية المصرية فيما يتعلّق بأمن الخليج تحديدًا.

هذا بالإضافة إلى عامل الموقع الجديد للإخوان المسلمين في مصر من واشنطن؛ إذ حرصت سياسات الجماعة أيضًا على عدم الاصطدام مع الولايات المتحدة مبكِّرًا في ملفٍ كالملف الإيراني، في الوقت الذي تسعى فيه لتسويق سياسة النظام الجديد خارجيًا، ولتثبيت حكم الرئيس الجديد الذي يواجه عواصفَ سياسية داخلية. وقد قوبلت الدعوات الانفتاحية الرسمية القادمة من طهران بتحفظ قاهريٍّ شديد رغم الزيارات البروتوكولية المتبادلة، التي كانت كفيلةً بإيصال رسائل سلبية رغم كل هذا الحرص الإخواني على عدم استثارة الجانب الخليجي، الذي فضّل الغضب المكتوم.

ولا يمكن إنكار أن الموقف الإيراني من الثورة السورية كان أحد أسباب التباعد بين الطرفين في وقت حكم الرئيس المنتخب ديمقراطيًا محمد مرسي؛ إذ قررت إدارة مرسي إعلان الدعم الرسمي للثورة السورية عقب حملات الدعم الشعبي التي قادها الإخوان على الأرض منذ اندلاع الثورة السورية، وإن كان لا يمكن اعتبار هذا السبب في سلّم الأولويات الأهم في أسباب استمرار الجفاء بين الجانبين.

ثانياً: اللجنة الرباعية: تواصل تحت أعين السعودية

يمكن رؤية موقف القاهرة من الأزمة السورية إبّان حكم الرئيس المنتخب ديمقراطيًا محمد مرسي وموقعه من التعامل مع الملف الإيراني، عبر ما عُرف وقتها باسم «اللجنة الرباعية»، تلك اللجنة التي انطلقت أعمالها في العاصمة المصرية القاهرة في شهر سبتمبر من العام ٢٠١٢، عقب مبادرة الرئيس مرسي التي أطلقها من قلب العاصمة الإيرانية طهران في قمّة عدم الانحياز التي انطلقت في أواخر شهر أغسطس من العام ٢٠١٢. وكانت هذه المبادرة تضمُّ كلًا من مصر وتركيا والسعودية وإيران لمواجهة تدهور الأوضاع في سوريا، ووضع حدٍّ لمعاناة الشعب السوري، وإيقاف نزيف الدم من خلال إطلاق عملية سياسية، وفقًا لوجهة النظر المصرية آنذاك.

وفيما يخص هواجس العلاقة مع إيران، فهناك معلومة قيلت عبر طرف إيراني على لسان أحد قيادات الجماعة، حول زيارة لمبعوثٍ مفوَّض من الرئيس السابق مرسي إلى الرياض، لإبلاغها بكافة عروض إيران للإدارة المصرية، مطالبًا بأن تحلَّ السعودية محلَّ إيران في هذه العروض وتقدّمها لحكومة مرسي. ويبدو أن هذه الرسالة لم تكن موفَّقة؛ إذ أحدثت مشكلة ثقة بين إيران وإدارة مرسي عندما علمت طهران بالأمر، كما أن الرياض لم تستجب للطلب المصري على أيّ حال، وبهذا فشلت إدارة مرسي آنذاك في إحداث توازنٍ في العلاقات المصرية بين إيران والسعودية .

وعلى الرغم من كون هذه المبادرة ربما تبدو ظاهريًا إيجابيةً من حيث الاعتراف بضرورة الجلوس على طاولةٍ واحدة مع إيران من قبل الجانب العربي بداية في الملف السوري، فإن مرسي كان حريصًا على إشراك السعودية ليكون هذا التواصل مع الإيرانيين تحت سمع المملكة وبصرها وليس بعيدًا عنها.

إلا أن الحضور السعودي في هذه المبادرة كان متململًا للغاية؛ فلم تبدِ السعودية رسميًا حماستها للمبادرة، حتى إنها لم تحضر الاجتماع الأول للرباعية[69]، وقد تناولت صحافتها المبادرة بنوعٍ من النقد المبطّن ثم الصريح مع مرور الوقت، وهو ما يمكن القول بأنه كان شهادة وفاةٍ لعمل هذه اللجنة، بعدما تناولت الكتابات السعودية غير الرسمية أسبابَ فشل مبادرة اللجنة الرباعية بسبب دعوة إيران للحضور، وهو ما يعني أن ثمة رسائلَ سعودية وصلت إلى القاهرة أنها غير راضيةٍ عن التواصل مع إيران في هذا الملف، بدعوى أن إيران جزءٌ من الأزمة السورية، ولن تكون جزءًا من الحل. ومع مرور الوقت عقب هذه المبادرة المصرية غير المكتملة، يمكننا أن نرى استجابةً من جانب الطرف المصري لوجهة النظر السعودية المعادية - وقتها - لنظام الأسد، وقد تبلورت هذه الاستجابة في قرارات الرئيس المصري محمد مرسي بقطع العلاقات مع النظام السوري، ومطالبة حزب الله بالخروج من سوريا، وهو ما يعني أن مصر الرسمية بقيادة أحد رموز الإخوان تبتعد أكثر عن طهران.

ثالثاً: تحوّل تدريجي في نظرة الإخوان لإيران

للإجابة عن سؤال كيف كانت النظرة داخل الإخوان للعلاقات مع إيران وكيف تحولت، وخاصة فيما يتعلّق بعام حكم الرئيس المنتخب ديمقراطيًا محمد مرسي؛ فيمكننا البدء من قاعدة الجماعة في محاضنها التربوية، حيث

إن تربيـة الأفـراد داخـل الإخـوان لـم تكـن لتخيفهـم مـن إيـران، ويُستشـهد علـى ذلـك باحتفـاء الجماعـة بالثـورة الإيرانيـة واعتبارهـا نموذجًـا للتغييـر الجـذري، حتـى وإن اختلفـت بعـد ذلـك علـى طابعهـا الشـيعي، كمـا نـرى تأثـرًا مـن «الصـف الإخوانـي» بكتابـات المتقاربيـن مـع طهـران فـي السـابق كالكاتـب فهمـي هويـدي، وكذلـك موقـف الإخـوان المؤيـد لحـزب الله إبـان العـدوان الإسـرائيلي علـى لبنـان فـي عـام ٢٠٠٦، وكذلـك مشـروع التقريـب بيـن المذاهـب الـذي اشـتركت فيـه الجماعـة مـع مرجعيـات شـيعية كبـرى[70].

ويمكـن الإشـارة هنـا إلـى أن السـرَّ فـي تغيـر الموقـف الإخوانـي إبـان حكـم الرئيـس المنتخـب ديمقراطيًـا مرسـي، كان فـي الابتـزاز الإعلامـي- الـذي كان موجـودًا مـن قبـل الثـورة، لكنـه وصـل ذروتـه عقـب الثـورة المصريـة - مـن قِبـل التيـارات السـلفية الأصوليـة، التـي تأخـذ علـى جماعـة الإخـوان تواصلهـا مـع «الشـيعة» بشـكل عـام. وتتحمّـل السـعودية المسـؤوليةَ بشـكل كبيـر عمـا يمكـن تسـميته بـ»انقـلاب» الإخـوان علـى إيـران عقـب الثـورة؛ فللجماعـة مصالـحُ مـع السـعودية تتعـدَّى مسـألة العلاقـات الخارجيـة، فعلـى صعيـد كافـة المسـاهمات القادمـة مـن الخـارج لتمويـل أنشـطة الجماعـة، تُعـدّ اشـتراكات أعضـاء الإخـوان المصرييـن فـي السـعودية هـي الأكبـر فـي منطقـة الخليـج، وهـو مـا تسـتخدمه السـعودية كورقـةٍ للضغـط علـى الإخـوان مـن قبـل الثـورة وبعدهـا وحتـى اللحظـة الراهنـة. وجديـر بالذكـر هنـا أنـه حسـب الإحصـاء الإخوانـي الداخلـي، فـإن الجاليـة الإخوانيـة فـي المملكـة العربيـة السـعودية مـن «الإخـوان المصرييـن»، تُعَـدُّ هـي الأكبـر عـددًا علـى مسـتوى الأقطـار الخارجيـة كافـةً، وقـد تشـكّلت لديهـا أيضًـا رؤى متقاربـة مـع المملكـة فيمـا يخـص قضايـا الشـيعة وغيرهـا، وهـو مـا يفسّـر - وفقًـا لإحـدى وجهـات النظـر - التغييـر التدريجـي علـى مسـتوى القواعـد فيمـا يخـص نظرتهـا لإيـران علـى عكـس القيـادات التاريخيـة القديمـة[71]، وهـو مـا يُطلـق عليـه مصطلـح «تسـلُّف الإخـوان».[72]

ولرؤيـة حضـور التأثيـر الخليجـي - والسـعودي تحديـدًا - فـي العلاقـة الملتبسـة بيـن إيـران والإخـوان، فـإن ذلـك يظهـر فـي ردَّة فعـل التنظيمـات الإخوانيـة فـي الخليـج وأفـراد الإخـوان المسـلمين المتواجديـن هنـاك ، الذيـن يتخـذون مواقـفَ سـلبية مـن التنظيمـات الإخوانيـة الأخـرى التـي تحتفـظ بعلاقـاتٍ طيبـة مـع إيـران مـع تصاعـد المواجهـة بيـن السـعودية تحديـدًا وإيـران، وعلـى رأسـها حركـة حمـاس؛ إذ إن ثمـة ضغوطـات مورسـت بالفعـل علـى الحركـة فـي هـذا الملـف مـن

أما على المستوى السياسي فإن تيارًا داخل الجبهة التاريخية القديمة يرى أنه لا يمكن خسارة العلاقات مع السعودية لصالح العلاقات مع إيران، وأن السعودية تستخدم نفس الورقة الإيرانية «الطائفية» لخدمة مشروعها السياسي، في حين أنها ترى الإخوان المسلمين أشدَّ خطرًا من المشروع الإيراني، وقد نقلت قيادات عليا قَطَرِية إلى الإخوان المسلمين هذه الرؤية السعودية

قبل هذه المجموعات، وكان من بين هذه الضغوطات رفض إرسال تبرعات للحركة.[73] وهو ما يؤكّد نظرية تأثُّر الخطاب الإخواني في الخليج بالنظرة السلفية التي تجعل البعد الطائفي (بين السنة والشيعة) حاضرًا بشكل مستمر، وهو ما يمكن أن يطلق عليه تولد الهاجس الإيراني لدى الإخوان في الخليج من البيئة المحيطة بهم.

وعليه، يمكننا الآن ملاحظة تأثر قواعد الجماعة بالبروباجندا السعودية تجاه إيران، وهو الأمر الذي أدَّى إلى حدوث تحوُّل تدريجيٍّ في مستوياتٍ قيادية حول الموقف من إيران. وبالعودة إلى فترة مرسي، فإنه لا يُستبعد أن يكون الضغط الخارجي أيضًا من قبل الولايات المتحدة وغيرها أحدَ أسباب التباعد مع إيران، كما أن الموقف الإيراني من الثورة السورية كان عاملًا مهمًا أيضًا على مستوى القاعدة لتغير وجهة نظرها حول إيران. وعلى المستوى السياسي، فإن الإخوان ليس لديهم تصوُّر واضح للحكم؛ وعليه لا يمكن أن يكون لديهم موقف واضح من تجربة الحكم في إيران[74].

عقب ثورة يناير ومع تشكُّل حزب الحرية والعدالة (الذراع السياسية لجماعة الإخوان في مصر)، عملت لجنة العلاقات الخارجية في الحزب على وضع استراتيجيةٍ منفتحة ومتوازنة مع الجميع، ولم يكن هنالك وجود لمشكلة بين الحزب وإيران. كما أن إيران حاولت أن تطوِّر علاقاتها بمصر في عهد مرسي بعروض اقتصادية؛ إذ عرضت إيران إمكانية مجيء ٢ مليون سائح إيراني إلى مصر لدعم النشاط السياحي في مصر، كما عرضت شحنات نفطية كانت مصر في أمسِّ الحاجة إليها وقتها، وكذلك عروض كثيرة للتبادل الاقتصادي. لكن لجنة العلاقات الخارجية في الحزب آنذاك كانت ترى أنه من الجيد أن يكون هناك تعاونٌ مع إيران لكن لا بدَّ أن يتمَّ بشكل تدريجي، حتى لا تُثار الحساسيات، خاصةً أن الولايات المتحدة -في وجهة النظر الإخوانية- كانت تتخلّى تدريجيًّا عن منهج الصِدام مع إيران لصالح سياسة أكثر احتوائية[75].

رفضت الجماعة العروضَ الإيرانية السخية على إدارة مرسي آنذاك، رغم وجود قناعاتٍ داخل حكومة مرسي تقول إن العلاقات مع إيران لا يجب أن تكون بوصلتها الرياض

لم يكن معلومًا لقيادات هذه اللجنة أن هناك مؤسساتٍ داخل الدولة كانت تضغط في اتجاه التباعد مع إيران، مع التأكيد على أن التيار السلفي كان الجهة الوحيدة التي تضغط ضد هذا الانفتاح[76]، وكانت حملاته تلاقي صدًى عند الكثير من قواعد الإسلاميين التي كانت داعمةً للحزب والحكومة والرئيس مرسي. وكذلك امتلكت السعودية هاجسًا دائمًا تجاه علاقة الإخوان بإيران، وكان هذا التصور حاضرًا بشكل يوحي بأن الإخوان وإيران في تنسيقٍ دائم، في حين أنه لم يكن معروفًا لدى قيادة الإخوان وقتها إذا ما كان هذا الهاجس عن قناعةٍ سعودية حقيقية أم مجرَّد ورقةٍ للضغط[77].

وفيما يخص هواجس العلاقة مع إيران، فهناك معلومة قيلت عبر طرف إيراني على لسان أحد قيادات الجماعة، حول زيارة لمبعوثٍ مفوَّض من الرئيس السابق مرسي إلى الرياض، لإبلاغها بكافة عروض إيران للإدارة المصرية، مطالبًا بأن تحلَّ السعودية محلَّ إيران في هذه العروض وتقدِّمها لحكومة مرسي. ويبدو أن هذه الرسالة لم تكن موفَّقة؛ إذ أحدثت مشكلة ثقة بين إيران وإدارة مرسي عندما علمت طهران بالأمر، كما أن الرياض لم تستجب للطلب المصري على أيّ حال، وبهذا فشلت إدارة مرسي آنذاك في إحداث توازنٍ في العلاقات المصرية بين إيران والسعودية[78].

كما يمكن استنتاج أن الهدف الإيراني من الإصرار على تلك العلاقة عبر هذه العروض الاقتصادية، كان محاولةً لكسر الصورة النمطية عن «إيران الشيعية» بالتواصل مع أكبر بلد عربيٍّ سنيٍّ عن طريق الحركة الإسلامية السُّنية الأكبر (الإخوان المسلمين)، مع حفاظهم على تواصلهم مع حركات المقاومة الفلسطينية (حماس مثلًا) كإثبات لاهتمامها بقضايا العالم الإسلامي بشكل عام.

ولاستيضاح كيفية تعاطي الرؤية الإخوانية مع المشروع الإيراني، يرى تيار من الجماعة أن التعاطي في السياسة هو الأصل، وهو الأمر الذي يتيح وجود علاقةٍ رغم اختلاف المشاريع. وربما تأثَّر هذا الموقف بالتدخل الإيراني في الثورة السورية على النحو الذي جرى؛ إذ بات التواصل محلَّ خلافٍ ونقاش، ولكن يمكن ملاحظة أن كلَّ فرعٍ من فروع الإخوان في الأقطار المختلفة لديه ظروف ومحددات تحكمه في علاقته بإيران من عدمها. ويرى هذا التيار أن

ويرى قطاع آخر من الجماعة أن الإخوان أخطأوا في التعامل مع ملف إيران بحساباتٍ غير واقعية وقتها برفض الدعم الإيراني المعروض عليهم في ملفاتٍ اقتصادية حساسة، وأن الدولة كان سيُقبل منها قدر كبير من البراجماتية بالنظر إلى واقعها الاقتصادي. إذ إن موقف إيران من حكم مرسي كان حريصًا على نجاح هذه التجربة، لكن الرئاسة والإخوان وقعوا تحت ضغط الابتزاز الإعلامي

حركة حماس - على سبيل المثال- لها حرية الحركة في عقد تحالفاتٍ أو شراكات بما يخدم قضيتها، كما أن إخوان مصر لا يعيبهم ذلك، لكنهم غير مضطرين إلى ذلك مطلقًا في الحالة مع إيران حاليًا، ولديهم حسابات تختلف عن حماس[79].

وقد تغير موقف الإخوان من إيران، على صعيد رؤيتها كمشروع سياسيٍّ وليس دينيًّا مهدِّدًا للسُنّة، ويمكن إرجاع هذا التغير إلى ما قبل العام ٢٠٠٦، ويمكن رؤية موقف دعم حزب الله في حرب لبنان بأن هذا ما كانت تقتضيه ضرورة اللحظة في دعم المعادين لـ «إسرائيل». وبخصوص الواقع الحالي في العلاقات مع الحاضنة السُنّية، فإن تيارات قيادية داخل الجماعة ترى أنه لا بدَّ ألا تصل إيران إلى مرحلة «دفء العلاقة» مع الحركات الإسلامية السُنّية في ظلِّ ما يحدث في سوريا واليمن والعراق، مع تفضيل أن تكون هذه العلاقة في حدِّها الأدنى، وذلك حتى لا يتمَّ توظيفها واستخدامها إعلاميًّا من دون مقابل، فالأمر خاضع لقانون المكاسب والخسائر، في حين أنهم يرون استحالة بناء أيِّ علاقة استراتيجية في الوقت الحالي، والأفضل أن تظلَّ علاقةٌ بـ «القطعة»، أي بمعنًى أدقّ كل موقف على حدة. وفيما يتعلّق بمشروع التقريب المذهبي، فإنه تسوده حاليًا نظرة تقول إنه غير واقعيٌّ بالمرة، ولكن ليس هناك ضررٌ من المضيِّ فيه، ولا يجب استخدامه وترويجه إعلاميًّا من قِبل إيران، في حين أن فائدته يمكن أن تنحصر في التقليل من الاحتقان بين مكونات المنطقة من الشيعة والسُنّة ولكن ليس أكثر من ذلك، وهذا هو سقف الطموح في ظلِّ الوضع الحالي[80].

أما على المستوى السياسي فإن تيارًا داخل الجبهة التاريخية القديمة يرى أنه لا يمكن خسارة العلاقات مع السعودية لصالح العلاقات مع إيران، وأن السعودية تستخدم نفس الورقة الإيرانية «الطائفية» لخدمة مشروعها السياسي، في حين أنها ترى الإخوان المسلمين أشدَّ خطرًا من المشروع الإيراني، وقد نقلت

قيادات عليا قَطَرِية إلى الإخوان المسلمين هذه الرؤية السعودية[81]. وهو الأمر الذي تعامل معه الإخوان بجدّية وحاولوا أن يتعاملوا بحذر مع إيران حرصًا على علاقاتهم مع السعودية في فترة حكم مرسي. وعلى الرغم من عروض إيران الاقتصادية المغرية لمصر، فإن الجماعة فضّلت أن تبقى العلاقة في حدودٍ لا تتخطّاها في هذه المرحلة، في الوقت الذي فضّلت فيه عدم فتح خطوط اتصال مع طهران خارج مؤسسة الرئاسة والاكتفاء باتصالات الجماعة في الخارج في مشروعات تتعلّق بالوحدة الإسلامية وليس اتصالًا سياسيًا مباشرًا[82].

وعندما زار أحد شباب الجماعة (المقرَّب من القيادات العليا للجماعة) إيران بمبادرةٍ شخصية قبيل بداية حكم الرئيس مرسي، كانوا على أتم الاستعداد لتطبيع العلاقات مع الدولة المصرية لأقصى حدٍّ متاح. وقد قابل هذا الشاب المسؤول عن الملف المصري في غرفة العمليات التابعة للرئاسة الإيرانية المختصة بمتابعة دول الثورات العربية، وذكر أن الرجل عرض نجاح الدولة الإيرانية في عدَّة ملفاتٍ كالبنية التحتية والتصنيع العسكري، ويقدِّر الشاب أن هذه العروض كانت ستذهب لرئيس مصر القادم بعد الثورة بغضِّ النظر عن اسمه أو تياره، وأكَّد أنه علم بوصول هذه العروض إلى الرئاسة المصرية في عهد مرسي لاحقًا[83].

ولكن لم يتفاعل الإخوان أو مؤسسة الرئاسة مع هذه العروض الإيرانية ـ طبقًا لمصادر مختلفة ـ لعدَّة أسباب رئيسة:
أولًا: خوفًا على العلاقة مع الخليج، التي كانت متوترةً بما يكفي بعد الثورة؛ لأن اتجاه الإخوان والرئاسة كان التهدئة مع الخليج في هذه الفترة، في مقابل تأجيل أية توافقاتٍ مع إيران.

ثانيًا: أن بنية الدولة المصرية في ذلك الوقت (الجيش ـ المخابرات) لم تكن تتعامل مع إيران كدولة عدوٍّ بالمعنى الحرفي، لكن على أقل تقدير دولة غير مرحّبٍ بإقامة علاقاتٍ كاملة معها، مع التأكيد على أنها ضد التماهي مع الخطاب الطائفي الخليجي تجاه إيران[84].

ولكن بعض المصادر الإخوانية أكّدت أن «عروض الدعم لم تكن سياسيةً بحتة، وإنما كانت فنيةً كدعم النشاط الطلابي في الخارج، والدعم الإعلامي»، فيما أكّدت مصادر أخرى وصول عروضٍ إيرانية بمنحٍ دراسية عن طريق القيادة الجديدة، لكن لم تلقَ حماسًا كبيرًا

ثالثًا: الموقف الإيراني من الثورة السورية وإن كان بدرجة أقلّ من الأسباب الأخرى.

رابعًا: عامل طائفي ولكنه ليس أساسيًا، لوجود تيارٍ داخل الإخوان متبنٍّ لخطاب طائفيٍّ ضد إيران والشيعة بشكل عام، وإن كان هذا التيار غير مؤثر بشكل كبير في اتخاذ القرار السياسي.

ويمكن اعتبار السنة التي أمضتها الجماعة في الحكم بمثابة سنة «استكشافية» للعلاقات في الإقليم. ونتيجة التأثر بالموقف الخليجي، رفضت الجماعة العروضَ الإيرانية السخية على إدارة مرسي آنذاك، رغم وجود قناعاتٍ داخل حكومة مرسي تقول إن العلاقات مع إيران لا يجب أن تكون بوصلتها الرياض؛ إذ لم يرَ البعض تحفظاتٍ للمؤسسات الأمنية والعسكرية في أثناء حكم الرئيس مرسي على العلاقة مع إيران، بل إن لقاءً جمع بين مسؤول الملف الإيراني في المخابرات العامة وأحد المسؤولين رفيعي المستوى في عهد مرسي أكّد فيه مسؤول المخابرات أنهم يرون أن مصر متأخرةٌ كثيرًا في ملف التعاون مع إيران. ويبدو من هذا الحديث أن التحفظ الواضح كان سعوديًا بالأساس[85]. وهو ما يُستخلص منه أن الشراكة بين مصر وإيران لم تكن في الرؤية المنظورة في أثناء حكم مرسي، إلا أن برجماتية الإخوان ربما كانت لتمكنهم من لعب أدوار عدَّة مع الأطراف كافةً، خاصةً مع السعودية وإيران.

ويرى قطاع آخر من الجماعة أن الإخوان أخطأوا في التعامل مع ملف إيران بحساباتٍ غير واقعية وقتها برفض الدعم الإيراني المعروض عليهم في ملفاتٍ اقتصادية حساسة، وأن الدولة كان سيُقبل منها قدر كبير من البراجماتية بالنظر إلى واقعها الاقتصادي. إذ إن موقف إيران من حكم مرسي كان حريصًا على نجاح هذه التجربة، لكن الرئاسة والإخوان وقعوا تحت ضغط الابتزاز الإعلامي[86].

إلا أن هناك رؤيةً سائدة لدى هذا التيار تتحدَّث عن المصالح المتعارضة للجماعة مع المشروع الإيراني، وتشكك في حقيقة دعم إيران لمشروعهم، أي إنهم يرونها علاقة تكتيكية في المقام الأول، بل ويذهب البعض بعيدًا ويرى إيران في خصومة «غير معلنة» مع إخوان مصر

ومن داخل دائرة أخرى من دوائر قيادات الإخوان المسلمين، يرى البعض أن موقف الرئاسة كان موفقًا في هذا الملف. إذ يرى هذا التيار أن مرسي أراد عودة العلاقات مع الجمهورية الإسلامية، ولكن بطريقة حثيثة ووفقًا لشروط مصرية، إلا أن مشروع العلاقات الخارجية لنظام مرسي لم يكتمل بسبب وأده عقب سنة واحدة فقط من الحكم[87].

رابعاً: العلاقات السهلة المستحيلة وهروب الصيد الثمين

يمكن تصوير سنة حكم مرسي بناءً على هذه المعطيات فيما يتعلق بالعلاقات مع إيران بسنة «فقدان الفرصة» بالنسبة إلى الجانب الإيراني، والعلاقة السهلة المستحيلة بالنسبة إلى جانب الإخوان، وقد فهم الإخوان المسلمون موقعهم المهمَّ في خريطة الأولويات الإيرانية التي تحرص على الكيانات الشعبية في تلك المرحلة. وهناك إشكالية -من منظور الإخوان- أدَّت إلى ضياع هذه الفرصة، وهي وجود تياراتٍ لا يوجد لديها مانع من التعامل مع إيران، والإشكالية هنا كانت موازنة هذا الانفتاح بجانب العلاقات مع السعودية التي يعتبرونها استراتيجيةً أيضًا. فكل تيارات الإخوان حريصةٌ على عدم الإضرار بعلاقتها مع السعودية، وإن ظهر تيار يسعى لتعزيز علاقة مع إيران فإنه سيسعى لعدم الإضرار بعلاقته مع السعودية أيضًا.

ب: بعد الانقلاب: انكفاء الجماعة وترقّب طهران

على الرغم من أنه يمكن قراءة الموقف الإيراني من الانقلاب العسكري في مصر في إطار نوعٍ من «العقاب» للجماعة على تجاهلها الجانب الإيراني في أثناء تواجدها في الحكم، بعد هجوم إعلامي من قبل الأذرع الإعلامية الإيرانية على نظام محمد مرسي في أيامه الأخيرة، وصولًا إلى التذبذب وعدم الحسم في وصفٍ محدَّد ودقيق لما حدث في مصر من جانب الجهات الرسمية، حتى إن بيان الخارجية الإيرانية بعد فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة لم يكن كافيًا أو دليلًا على إدانة المؤسسة العسكرية من قبل طهران، إلا أنه رغم ذلك، فلم تراهن إيران بكل ثقلها على الموقف من الأنظمة المصرية العسكرية خاصةً مع معرفتها بالتحالف الاستراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة، والذي لا يمكن أن يسمح لأيٍّ تقاربٍ بين القاهرة وطهران في ظلِّ حكم الجيش؛ لذا فقد رأت طهران عدم التمادي في تجاهل جراح الإخوان المسلمين، الذين يسهل التعامل معهم وهم خارج السلطة أكثر بكثير حينما يكونون بداخلها.

وبشكل عام، فإن الموقف من إيران سيظل رهين «فزّاعات» إقليمية تضع خطًا أحمرَ على هذا النوع من العلاقات فيما يخص الإخوان المصريين، ناهيك عن حدوث تحولاتٍ في العقل الجمعي لدى بعضٍ من قيادات الجماعة المنتمية لهذا التيار فيما يخص الموقف من الشيعة. وفي سياق التدخل الإيراني في سوريا يشعرُ الكثير من أعضاء هذه المجموعة بأن قواعد سلوكهم لا تسمح لهم بتبرير علاقة مع إيران

إلا أن الأيام الأولى من الانقلاب العسكري وما تلاه من اضطراباتٍ سياسية لم تكن وديّةً بين الجانبين؛ إذ رفضت جماعة الإخوان لقاء ممثلين عن إيران عقب الأحداث مباشرة[88]، في حين تذكر معلومات أخرى أن إيران طلبت التواصلَ مع اللجنة التي كانت تدير التفاوض مع النظام والخارج داخل الإخوان المسلمين بقيادة عضو مكتب الإرشاد محمد علي بشر، إلا أنه لا معلومات عن نتيجة هذا اللقاء، وهل تمَّ أم لا، في ظلِّ تأكيدٍ من طرفٍ آخر داخل الجماعة على رفض الجماعة لهذا اللقاء[89].

ووفقًا لقيادة مقرَّبة من مكتب الإرشاد إبّان حكم الإخوان، فإنه بعد هذا الموقف بفترة زمنية، «طلبت الجماعة من فرعها في طهران القيامَ بفعالياتٍ مناصرة لهم ضد الانقلاب العسكري في مصر، وكذلك للتقريب بين إيران والجماعة في ملف مواجهة الانقلاب العسكري، وقد دعم إخوان إيران الحراكَ في بدايته ثم توقف الدعم بعد أن أبلغوا إخوان مصر أنهم تحت تهديد قويٍّ بسبب هذا التحرك، وأن النظام الإيراني يحاول الحفاظ على علاقاته مع نظام السيسي في هذا التوقيت، وهو ما قرأته الجماعة أن إيران تريد الإخوان في موقف ضعفٍ دائمًا[90][91]."

ويمكن أيضًا قراءة هذا التحرك الإخواني بأنه في بدايته كان محاولةً لصناعة حالة إقليمية ضد حكم الجيش في مصر؛ ولذلك كان الطلب على هيئة دعم حراكهم الشعبي المناهض للانقلاب عن طريق التنظيم في إيران، وهي خطوة ربما أتت في ظلِّ تمويل ودعم خليجيٍّ مطلق لنظام ما بعد الثالث من يوليو، وهو ما جعل الجماعة أجرأ على طلب الدعم من الأقطار كافةً في حراكهم المعارض.

وبعد ذلك قررت إيران التواصل مع الإخوان في وضع الضعف الذي تعانيه الجماعة عن طريق الجلوس معهم في المنفى (تركيا ولندن)، ولكن بعض المصادر الإخوانية أكّدت أن «عروض الدعم لم تكن سياسيةً بحتة، وإنما كانت فنيةً كدعم النشاط الطلابي في الخارج، والدعم الإعلامي»، فيما أكّدت مصادر أخرى وصول عروضٍ إيرانية بمنحٍ دراسية عن طريق القيادة

ولكنَّ هناك تحليلًا آخر يرى أن كلَّ تيارات الإخوان بما فيها هذا التيار حريصةٌ على عدم الإضرار بعلاقتها مع السعودية، وإن ظهر التيار الجديد ساعيًا لإنشاء علاقة ما مع إيران، فإنه سيسعى لعدم الإضرار بعلاقته مع السعودية

الجديدة، لكن لم تلقَ حماسًا كبيرًا. وقد كانت الرسالة الرئيسة فيما يبدو أن الجمهورية الإسلامية حريصةٌ على العلاقة رغم ضعف التنظيم في وضعه الحالي[92]. ولهذا شككت الجماعة في عروض التواصل بعد الانقلاب العسكري رغم تأكيد حدوثها، بدعوى أنهم يعرفون عدم إخلاص هذه العروض بشكل كافٍ؛ لأن الجماعة لن تستطيع أن تقدِّم لهم مقابلًا من خارج مصر، كما أن قطاعًا من قيادات الجماعة يرى أن إيران لن تساعد الإخوان للعودة إلى الحكم مرةً أخرى. إلا أن البعض أكد حدوث هذا التواصل رغم توجس الطرفين، فنقلًا عن أطرافٍ إيرانية روى أكاديميٌّ مقرَّب من جماعة الإخوان المسلمين أن هناك زياراتٍ قام بها عددٌ من مسؤولي الإخوان لإيران في عامي 2014 و2015 على عهدة الطرف الإيراني الذي نقل أخبار هذه الزيارات له[93]. ويرجّح أن يكون هذا صحيحًا لوجود علاقاتٍ قوية بين جماعة الإخوان وحركاتٍ إسلامية أخرى تتمتع بعلاقاتٍ وثيقة مع طهران كحركة حماس المرتبطة تاريخيًا بالجماعة، التي يمكن أن تكون قد لعبت دورًا وسيطًا شبيهًا بالدور الذي لعبته بين الحكومة السورية في دمشق والمعارضة السورية. إلا أن قيادةً من حركة حماس أكدت أنهم لم يضطلعوا بدور الوساطة بين الإخوان المصريين وإيران بعد الانقلاب العسكري، مع استعدادهم للعب دور الجسر بين مختلف الأطراف ما دام هذا يصبُّ في مصلحة القضية الفلسطينية (من وجهة نظر حماس)[94][95].

ولأهمية إيجاد شركاء إقليميين للجماعة في معركتها مع النظام في مصر خاصةً بعد خروج عددٍ من قيادات التنظيم وأفراده إلى الخارج، والضغط على الدول الأساسية المستضيفة؛ تبرز أهمية التواصل مع بدائل أخرى كإيران؛ لأنه في ظلِّ الضغوط والحصار والمطاردة من معظم دول الإقليم فإن الدولة الوحيدة التي يمكن ألا تخضع لمثل هذه الضغوط بنفس قدر خضوع دولٍ أخرى هي إيران، والتي تعرض نفسها كحاضنة وملاذ آمن للإخوان إذا ما لجأوا إليها؛ لأنها يمكن أن تصمد في مواجهة هذه الضغوط، إلا أنه لا يرجَّح أن تلجأ الجماعة (قبل الانشقاق وبعده) إلى خيار صفريٍّ كهذا طالما تمسك بها الداعمون في تركيا وقطر.

خامساً: تصدُّع الجماعة: خطوط منفصلة للتواصل مع إيران

عقب مرور العام الأول على الانقلاب العسكري في مصر، بدأت الشقوق والخلافات بين قيادات جماعة الإخوان المسلمين المصرية في الظهور إلى العلن رويدًا رويدًا، حتى وإن حاولت التيارات المختلفة داخل هذه القيادة كتمانَ الأمر في محاولةٍ لتخطيه. فقد تناثرت المجموعات القيادية بين الداخل والخارج بعد حملاتٍ أمنية من النظام المصري اعتقلت أغلب قيادات الصف الأول والثاني من الجماعة في ذلك الوقت، وهو ما أضعف الكيان التنظيمي الضخم وعزله عن قاعدته بعض الشيء.

نتج عن هذا الخلاف تياران رئيسان وتياراتٌ أخرى هامشية وليدة الحالة السائلة التي خاضتها الجماعة في ظلِّ تخبط إداريٍّ وسياسيٍّ وكان لذلك تأثير مباشر في رؤى العلاقات الخارجية للجماعة وخاصةً مع طهران. وأخذ هذان التياران في التشكل والتبلور طوال ٣ سنوات من الخلافات الحادَّة التي جعلت التمييز بينهما سهلًا في ظلِّ تبلور قياداتٍ واضحة لكلا التيارين الرئيسين (القيادات التاريخية والتيار الجديد) وتيارات أخرى في طور البلورة. (انظر شكل 3) - *الصفحة التالية*

1. القيادات التاريخية: الجبهة التي تملك القدرة ولا تملك الإرادة

إن تيار القيادات التاريخية للجماعة هو الذي يمسك بمفاصل التنظيم ومقدراته المالية ورصيد علاقاته الدولية، وتتزعمه مجموعة من قيادات آخر مكتب إرشاد للجماعة (قبل الانقلاب العسكري)، بالتعاون مع رابطة الإخوان المصريين حول العالم (جزء من التنظيم الدولي للجماعة)، هذا التيار هو الذي رأى ضرورة الحفاظ على تماسك الجماعة بعيدًا عن خوض مواجهاتٍ غير محسوبة مع نظام السيسي، مع التمسك بشرعية الرئيس المعتقل.

يمكن النظر إلى واقع العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وهذا التيار التقليدي داخل الجماعة على أنها ذات وتيرة بطيئة للغاية؛ لأن إحراز التقدُّم مع هذا الطرف الإخواني المتحفظ في علاقاته الخارجية صعبٌ، وإن كان يتسم بنوعٍ من الثبات نظرًا لتاريخ التعامل المشترك. إلا أن هناك رؤيةً سائدة لدى هذا التيار تتحدَّث عن المصالح المتعارضة للجماعة مع المشروع الإيراني، وتشكك في حقيقة دعم إيران لمشروعهم، أي إنهم يرونها علاقة تكتيكية في المقام الأول، بل ويذهب البعض بعيدًا ويرى إيران في خصومة «غير معلنة» مع إخوان مصر كما هو في اليمن وسوريا، ولكن لا يظهرون ذلك بشكل

شكل (٣)

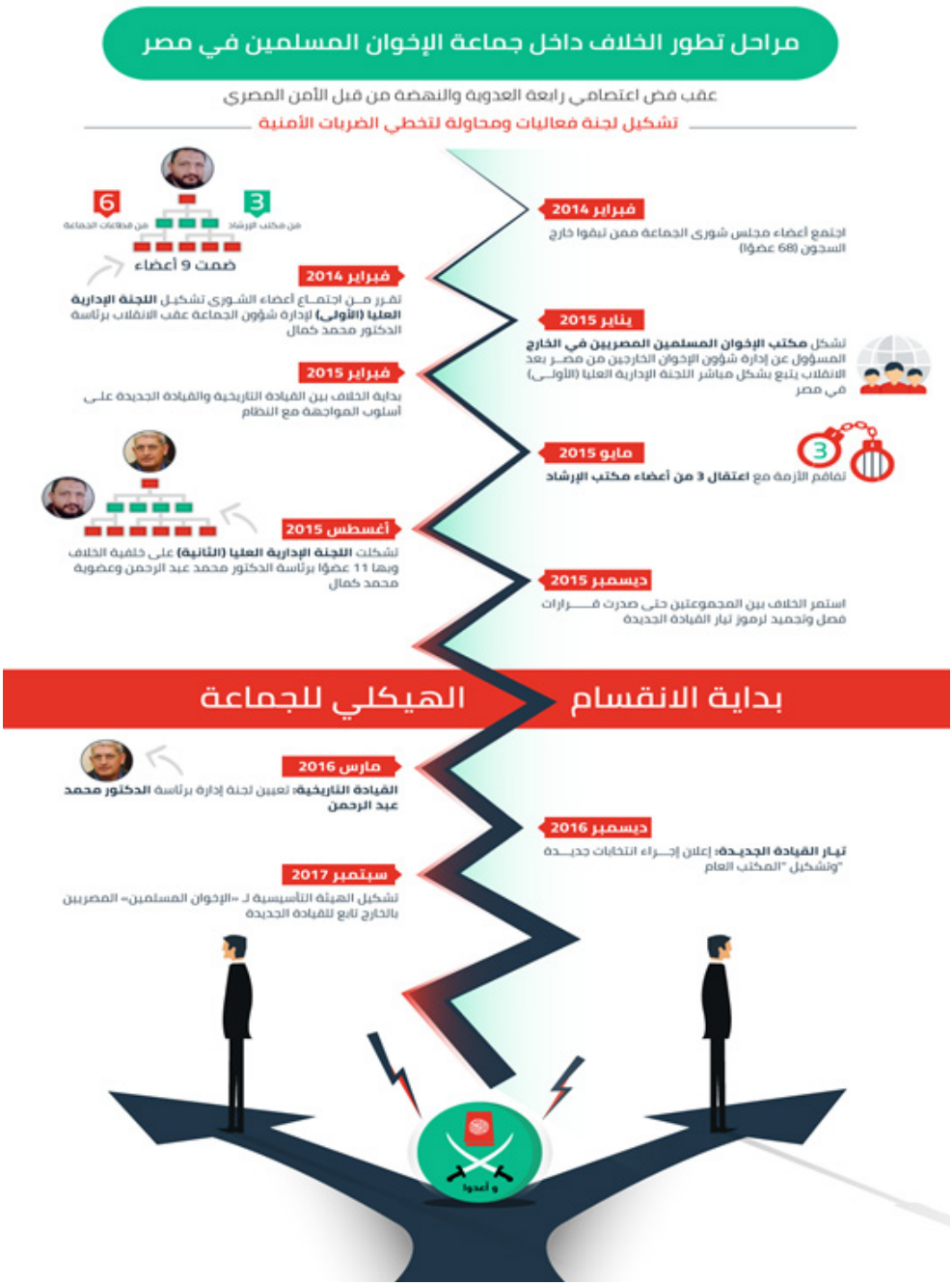

المصدر: من مقابلة أجراها المؤلفان في مايو ٢٠١٨ ومعطيات ذات مصادر مفتوحة

تفسر ربما رغبة هذا التيار في التواصل مع الإيرانيين من جانب أن معظم التيارات التي تتبنى هذه الأطروحات الصدامية تنظر إلى الثورة الإيرانية كنموذج حقق أهدافه بشكل سريع، بعيدًا عن أيديولوجية الدولة التي أنتجتها الثورة بعد ذلك

عدائيٌ. وحتى فيما يخصُّ الصراع داخل الإخوان، يعتقد آخرون أنه من مصلحة إيران ضعف الإخوان عبر هذه الصراعات، لكنهم يعترفون بعدم تدخل الطرف الإيراني فيها[96].

ولكن مع هذا كله لا يرون ضررًا من وجود حدٍّ أدنى من العلاقة بين الطرفين، إلا أنهم يرون أن الإخوان المسلمين أنهكوا خارج مصر؛ ولذا لا يعتبرون أنفسهم جزءًا مؤثرًا في بناء شراكةٍ وعلاقة فعالة، وربما يكون حضور الإخوان في حالةٍ كهذه من خلال علاقاتهم مع الأتراك والقطريين، ولا مانع من ذلك فيما يخدم الحالة المصرية[97]. وهذه الرؤية يتفق معها ويطرحها المؤثرون المقرَّبون من دوائر الجماعة والدوائر التركية القطرية المشتركة[98].

وعلى صعيد واقع العلاقات مع إيران، يرى جانب من هذا التيار أن هذه العلاقات تحتاج إلى ترميمٍ وليس إلى تطوير؛ لأن بترميمها يمكن أن تكون مفتاحًا لحلٍّ العديد من أزمات المنطقة كسوريا واليمن، لكن البعض يشكك في جدِّية الرغبة الإيرانية في الاتجاه نحو الترميم. يمكن أيضًا رؤية تمسك هذا الجانب القيادي التاريخي من الإخوان بعدم استعداء المملكة العربية السعودية لصالح علاقات «متوترة» في الأصل مع إيران، بمعنى أنهم لا يفكرون في إحلال علاقاتهم غير الجيدة مع إيران، بعلاقاتهم غير الجيدة أيضًا مع السعودية، رغم كل العداء الخليجي، الذي تراه إيران فرصة لتحسين العلاقات. جزء من هذه الرؤية مبنيٌّ على اعتبار السعودية مشروعًا سياسيًّا «فاسدًا» يعادي الإخوان لتثبيت حكمه، بينما يحتفظ بلا شكٍّ بمفاتيح عدَّة في الإقليم ليس من مصلحة الإخوان خساراتها بإحراق المراكب جميعها عبر الاتجاه نحو إيران؛ ولذلك يرفض الإخوان دائمًا اليد الإيرانية الممتدَّة بالمساعدة، وفي الوقت نفسه ينتظرون تسويةً مع المشروع السياسي السعودي، الذي يُعادي المشروع السُني للإخوان المسلمين رغبةً في احتكاره وتوظيفه في الحرب ضد المشروع الإيراني الذي يستخدم «الشيعة»[99].

وفي النهاية لا ترى هذه الجبهة مصلحةً للمنطقة باستمرار هذا الصراع بين السعودية وإيران في حين يمكن الوصول لتسوياتٍ عبر الحوار[100]، لكنهم

يـرون أن محـاولات اسـتئصال الإخـوان مـن الإقليـم عبـر المحـور السـعودي ـ الإماراتـي لـن تكـون فـي صالـح هـذا المحـور بـل سـتضعفه، وهـو مـا سـيعقد أيَّ تسـوية إقليميـة أمـام إيـران. إلا أن الجماعـة بوضعهـا الحالـي فـي الأقطـار المختلفـة لا تملـك أن تلعـب دورًا أكبـر مـن حجمهـا فـي مثـل هـذا الملـف. ولا يرفـض هـذا التيـار بشـكل مـا أن ينخـرط فـي حلـفٍ مـع السـعودية تتـم بموجبـه تسـوية أزمـات الإخـوان مرحليًـا فـي الأقطـار، لكنهـم يـرون أن تعامـل السـعودية مـع ملـف الإخـوان تشـوبه «رعونـة» كبيـرة بسـبب تأثيـر الإمـارات حاليًـا فـي القـرار السـعودي فـي هـذا الملـف[101].

وقـد كان للقطرييـن دور ومحـاولات بحسـب روايـات قيـادات فـي الجبهـة التاريخيـة للإخـوان، عقـب المصالحـة الخليجيـة فـي عـام 2014 التـي بموجبهـا كان يفتـرض أن تحتشـد التيـارات الإسـلامية فـي المنطقـة خلـف السـعودية، فـي مقابـل أن تعطـي السـعودية إشـاراتٍ إيجابيـة لحلحلـة ملفـات الإخـوان العالقـة فـي مصـر أو غيرهـا. وفـي حيـن يُظهـر هـذا التيـار (الحـرس القديـم) معرفتـه بتواصلاتٍ بيـن إيـران والأطـراف الأخـرى التـي انشـقت عنـه، فإنـه لا يـرى مشـكلة فـي هـذا التواصـل، وإنمـا فـي اسـتخدام اسـم «الجماعـة»، وهـي مشـكلة تنظيميـة أكثـر منهـا اعتراضًـا علـى الاتصـال بالإيرانييـن؛ إذ إن الـذي يديـر هـذا الملـف مـن جهـة القيـادات التاريخيـة هـو التنظيـم الدولـي للجماعـة الـذي يفـوِّض مكتـب لنـدن تحديـدًا فـي مثـل هـذه الاتصـالات التـي يرونهـا ضـرورة سياسـية وليسـت مـن جانـب إقامـة تحالفـات[102].

الضغـط الإقليمـي والدولـي جعـل الحـرس القديـم مسـتعدًا للمراهنـة علـى العلاقـة مـع السـعودية دونَ إيـران، مـع الأخـذ بعيـن الاعتبـار خـوف بعـض قيـادات الإخـوان ممـن يعيشـون فـي دول الخليـج العربـي مـن أن تصعيـدًا مـع الريـاض قـد يُفضـي إلـى حملـة شـاملة النطـاق ضـدّ أعضائهـا المقيميـن فـي الخليـج وحملـة أكثـر شراسـة ضـد الجماعـة فـي الغـرب. ورغـمَ ذلـك، لـدى الإخـوان رغبـة بعلاقـات مـع طهـران. والتواصـل معهـا عبـر القنـوات الخليـة ظـلّ محـدودًا بمؤتمـرات التقـارب المذهبـي، وحتـى اللحظـة، لـم ينتـج عنهـا تطـوّر سياسـي حقيقـيّ.

وبشـكل عـام، فـإن الموقـف مـن إيران سـيظل رهيـن «فَزَّاعـات» إقليمية تضـع خطًا أحمـرَ علـى هـذا النـوع مـن العلاقـات فيمـا يخـص الإخـوان المصرييـن، ناهيـك عـن حـدوث تحـولاتٍ فـي العقـل الجمعـي لـدى بعـضٍ مـن قيـادات الجماعـة المنتميـة لهـذا التيـار فيمـا يخـص الموقـف مـن الشـيعة. وفـي سـياق التدخـل الإيرانـي فـي

سوريا يشعرُ الكثير من أعضاء هذه المجموعة بأن قواعد سلوكهم لا تسمح لهم بتبرير علاقة مع إيران. وفي وضعه الحالي فغالبًا لا يمكن لهذا الفصيل أن يفتح خطوط تواصل جديدة وستظلُّ علاقته بإيران تقليدية جدًا، ومحصورةً باجتماعات شبه منتظمة.

في مقابلة مع قيادي كبير سابق في الإخوان المصريين، بتاريخ تموز ٢٠١٨، لخّص مشاكل الجماعة مع إيران في نقطتين: عجزها عن تحديد مناطق التوافق والاختلاف مع إيران، وقصورها البيروقراطي (معَ تفككها التنظيمي) الذي قد يصعّب، نسبيًا، تطور العلاقات.

2. التيار الجديد: الرغبة الممنوعة

هذا التيار القيادي الجديد يتألف من الجيل السياسيّ الثاني المعني بشؤون الذراع السياسية للجماعة، حزب الحرية والعدالة؛ وعدد من وزراء وأعضاء برلمان سابقين، وقيادات وسطى شبابية حاولت إيجاد رؤيةٍ بديلة صدامية لمواجهة النظام بطريقة مشروعة، مدعومة بمجموعة من أعضاء مكتب الإرشاد الأصغر سنًا والمصعَّدين إلى لجان الجماعة بعد الانقلاب لإدارة شؤونها وبعدَ صراع مع الحرس القديم. إلا أن هذا التيار قد اصطدم بالقيادة التاريخية، وقرَّر الانشقاق عنها، معلنًا تنظيم جبهة جديدة داخل الجماعة تعطي لنفسها شرعيةً بعيدًا عن الإجراءات التنظيمية التي يُخالفها. وانقسم هذا التيار على نفسه أيضًا؛ لفقر في رؤية واضحة حولَ كيفية مواجهة النظام بعد الضربات الأمنية المتتالية.

قيادة هذا الفصيل الجديد تؤمنُ بمسلمات مختلفة عن مسلمات الحرس القديم في العلاقات الدوليّة، المساحة التي تُعاني الجماعة بأكملها معها. ولعلّ هذا الأمر مشكلٌ للفصيل الجديد الذي ما زال يسعى لشرعنة نفسه وبناء علاقات خارجية مستقلة عن شبكة الإخوان العالميّة التي يتحكم بعلاقات جماعتها الجيل القديم.

وقد تواصل هذا التيار بالفعل مع الجانب الإيراني، ولكنها تواصلات أكاديمية في جوانب علمية حملت أجندتها رسائل سياسية ونقاشات (بشكل غير مباشر)، ولكنها لم ترقَ إلى العلاقات الرسمية، في حين يمكن اعتبارها أولى خطوات صناعة الثقة بين الطرفين. وقد بدأت هذه العلاقة بتبادل الزيارات

مع مركز بحثيٍّ مرتبط بهذا التيار الجديد، هو الذي تحمّل عبء فتح المجال بين الطرفين، وقد كانت خطواته جريئةً في هذا المجال حتى وصلت إلى قلب طهران، في حين يخشى بعض رموز هذا التيار -حتى الآن- من الانخراط في علاقاتٍ سياسية مباشرة علنية مع الجانب الإيراني، مفضِّلين الإطار البحثي والسياسي غير المعلن، بينما يرون رغبةً من الإيرانيين في تطوير العلاقة مع الإخوان أو مع غيرهم من الفاعلين في مصر عمومًا[103].

مثل هذه الفعاليات التي تقوم بها المؤسسات البحثية تُعد المسار الثاني أو الثالث في تنفيذ علاقات سياسية، ويمكن للمؤسسات البحثية أن تكون أحد المسارات لأنها قد تشكّل ساحاتٍ للحوارات على هامشها. ولا ينكر هذا التيار- الذي يعترف قادته بانقسامه على نفسه- أن تعقيد ومخاطرة التواصل مع الإيرانيين لها كلفتها على مستوى القواعد الشعبيّة، وتحديدًا المتأثرة أيديولوجيًا بالخطاب السلفي تجاه الشيعة، وكذلك فإن الوضع في سوريا وانخراط الإيرانيين فيه يعقّد التواصل؛ لكنهم في ظلِّ الظرف الإقليمي الذي يرغب في استئصال حركة الإخوان، يرون أنه من المنطقي التحاور مع قوةٍ فاعلة كإيران.

ولكنَّ هناك تحليلًا آخر يرى أن كلَّ تيارات الإخوان بما فيها هذا التيار حريصةٌ على عدم الإضرار بعلاقتها مع السعودية، وإن ظهر التيار الجديد ساعيًا لإنشاء علاقة ما مع إيران، فإنه سيسعى لعدم الإضرار بعلاقته مع السعودية، وفي الحالة المصرية لا يوجد مانع لدى فريق من الإخوان من إقامة علاقاتٍ مع إيران على المستوى البحثي والعلمي والفكري فقط (حتى الآن)، وما زال التعاون السياسي عليه تحفظات كبيرة من معظم الأطراف[104]. وذلك ربما لأن الإخوان لا يملكون القدرة حاليًا على تجاوز النفوذ السعودي الطامح لتقليص علاقتهم مع إيران بسبب التعاون التاريخي المشترك مع الرياض والوزن الاستراتيجي المهم للمملكة في المنطقة، على الرغم من تصنيفها للجماعة كمنظمة إرهابية بعد الانقلاب العسكري. وفي النهاية، لكلّ فصيل رأيه المختلف حول الإرث التاريخي والعامل الجيوسياسي لعلاقته بالسعودية، التي ما زالت تؤثّر، لحد مُعتبر، على أطياف الإخوان المختلفة.

يخطو الجيل الجديد بسياسة نحو إيران لا تختلف كثيرًا عن طريقة الجيل القديم في حواره مع إيران للتقريب المذهبيّ، مع قرار إيران الواضح بفتح خطوط تواصل مع كل أطياف الإخوان لاحتياجها لهم في استراتيجيتها

الأوسع للشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يسعى التيار الجديد لتمييز نفس عن الجيل القديم لأسباب عدّة، منها تعزيز موقعه تنظيميًا وتطوير أدوات قوته ببناء علاقات خارجية مستقلّة عن علاقات الجيل القديم. فيما ترى قطاعاتٌ وسيطة من الجماعة أن التيار الجديد ينتظر الفرصة فقط لتفعيل تواصل سياسيٌ قائم على المصالح مع إيران بشكل أكثر إيجابية، ولكن ربما ينتظرون الأجواء المناسبة، كما أن إيران قد تنتظر المبادرة من جانبهم[105].

أما حول وجود رؤية شاملة لدى هذا التيار للتعامل مع إيران، فعلى مستوى رموزه قد لا توجد رؤية واضحة، لكن ليس هناك ما يمنع من فتح هذا الباب، وإن كان أي تقارب سياسيٌ مع هذه الشخصيات التي تُعدُّ رموزًا سياسية معارضة سيكون مكسبًا كبيرًا لصالح طهران. وعلى الجانب الآخر، فإن المرونة التي يبديها هذا التيار في مواقف رموزه المختلفين قد تشجّع على ذلك، خاصةً أنهم لا يرون أنه يجب الارتهان إلى الخليج فقط في تحديد طبيعة العلاقة مع إيران، وإنما يجب أن يُنظر إلى المسألة بمنظور مصلحيٌ بحت[106].

عمومًا، تؤكد مصادر إيرانية الحفاظ على العلاقات مع أكبر فصيلين في إخوان مصر، الحرس القديم والقيادة الجديدة، وعلى خطوط التوصل معهم عبر الفعاليات العلميّة لتبادل الرسائل السياسيّة. يستغلّ الحرس القديم مؤتمرات الحوار المذهبي، التي تنعقدُ بشكل سنويّ عادةً، للانخراط في محادثات مع المسؤولين الإيرانيين.[107] وتشارك شخصيات رئيسية من القيادة الجديدة في تعاون علمي مع مراكز ابحاث إيرانية وتحضر فعاليات بشكل شبه منتظم في إيران.[108] شاركَ في بداية ٢٠١٨ أعضاء من القيادة الجديدة في فعالية نَظَّمها مركز بحثي في مدينة قُم. ويُذكر أنّه تم تبادل رسائل سياسيّة مع مسؤولين إيرانيين على هامش المؤتمر.[109] وعلى كل حال، بالنسبة للإخوان الذين تواصلوا مع طهران (عددٌ منهم مُقصَون من الفصائل الأساسيّة)، ليسَ واضحًا إن كانت هذه الخطوات منهم بصفة شخصيّة أم مُنسقةً مع فاعلين آخرين.

3. تيار المواجهة والحاجة لمساعدة إيران

في ظلٍ هذا الانقسام تنحّت مجموعاتٌ قاعدية ووسطى من الجماعة عن العمل التنظيمي تحت ضغط الوضع الأمني، بينما انخرطت مجموعاتٌ أخرى من القواعد والقيادات الوسطى مدعومةٌ بأفراد قيادية عليا في تنظيم مواجهة مع نظام السيسي كوسيلة للتغيير الراديكالي/ الجذري.

يمكن النظر بعين الأهمية إلى التيارات الصغيرة التي نشأت على الهامش في مصر كردٍّ فعلٍ على اللحظة الهشة التي تمرُّ بها جماعة الإخوان المسلمين، تلك التيارات التي تتبنى أطروحاتٍ صدامية مع النظام في مصر بخلاف الجبهة التاريخية وبعض القطاعات من التيار الجديد، واختلفت مع آنفي الذكر برؤيتها بشأن التواصل مع إيران في هذه المرحلة الحرجة.
تفسر ربما رغبة هذا التيار في التواصل مع الإيرانيين من جانب أن معظم التيارات التي تتبنى هذه الأطروحات الصدامية تنظر إلى الثورة الإيرانية كنموذج حقق أهدافه بشكل سريع، بعيدًا عن أيديولوجية الدولة التي أنتجتها الثورة بعد ذلك. بالنسبة لهذا الفصيل الأخير فهم يرون إيران كفاعل مستقلّ ذا مشروع إقليميّ، وهم معجبون بطريقة فرض إيران لنفسها على المنطقة كفاعلٍ إقليميّ، بالقوّة. وأبعد من ذلك، يؤمنون بضرورة حل الفروقات لأن «تسنين» الشيعة لن يحدث ولا «تشييع السنة»، أبدًا. خصوصًا مع استخدام الطائفية في الأطماع السياسية تتجاوز الوضع الحالي للحركات الجهادية.[110]

وبسبب ميلهم نحو المواجهة مع النظام المصريّ يركّز هذا الفصيل أيضًا على نموذج دعم إيران للفاعلين من غير الدول، كحزب الله وحماس. ولذا تتبنى نظرةً براغماتية لإمكانية وجود علاقات إيجابية مع إيران وتنتقدُ الجزء الأكبر من الجماعة لعدم ممارستها هذه البراغماتية في تعاطيها مع إيران، في كلا الحالتين، قبل وبعد إدارة مرسي.
يرى هذا الفصيل الغَض، والأكثر راديكالية، يرى المنطقة بمنظور أكثر واقعية من منظور زملائهم الأكبر سنًا، ما يعني أنّ العداوة المستمرة لإيران قد لا تكون على قائمة أولوياتهم[111].

وهو ما يمكن أن ينتج عنه شراكةٌ تكتيكية لحظيّة بين الطرفين كنتيجة لأزمات المنطقة (ولانخراط إيران فيها) وإعجاب هذه الفصائل بطريقة إيران المُجَابِهَة، وبمساندتها لمجموعات مشابهة. ويعتقد هذا الفصيل أن إيران تهتمُ أكثر بالفاعلين في الميدان ولو أنها تُبقي على خطوط الاتصال السياسية التقليدية عبر الحوار. ويعتقدون أن إيران متحمسةٌ للتواصل معهم لاتفاقهم في الأساليب التكتيكية، وقد طلب مسؤولون إيرانيّون الاجتماع بشباب نافذين في هذا الفصيل، إلا أن التقدم بطيء وسرّي نتيجةً للموقف الحساس لكلا الطرفين.[112]

ويدرك أبناء هذا التيار أنّ تغيير الموقف السلفي لدى القواعد يتطلّب تغيرًا في سلوك إيران في المنطقة. وهنا مستوى آخر من التعقيد: أيّ تحالف مع إيران سيكون معقدًا بالنسبة للفصيل الذي يحاول أن يشكّل توازنًا في العلاقات الدوليّة، ومن ثمّ السرية متطلبٌ أساسي.[113] مسعى هذا الفصيل لبناء علاقات متوازنة انعكسَ بتأسيس مكاتب سياسية يمكن أن تُفوّض لتقوم بالمهمة.[114] ومن هذا المنظور لا تقدرُ الأجهزة السياسية القديمة للجماعة المصرية أن تُوافي طموحات هذا الفصيل حيث عليهم أن يتواصلوا مع فاعلين خارجيين لتأمين الدعم.[115] وحتى الآن، وفقًا لمصدر من هذا الفصيل، لم يحدث تواصل مباشرٌ بين قيادة الفصيل وإيران، رغمَ أن بعض المجموعات المنشقّة أنشأت مكاتب سياسية غالبًا للقيام بهذه المهمة.[116]

خاتمة

أوضح هذا التقرير كيف أنَّ العلاقة بين إيران وإخوان مصر تتشكَّل إلى حدّ كبير عبر ديناميات الجغرافيا السياسية المُتغيِّرة عقب ثورات الربيع العربي، خصوصًا بسبب دعم تركيا وقطر حاليًا لإخوان مصر، ولو بدرجات متفاوتة. ويضيف التقارب الحالي بين الثلاثي تركيا-إيران-قطر في ضوء الأزمة الخليجية والصعود الكردي بُعدًا جديدًا إلى احتمالية حدوث مزيدٍ من التغيير في العلاقات بين إيران وإخوان مصر. ومع تآكل الدور الأميركي في المنطقة وصعود روسيا، يبدو أنَّ تركيا وإيران تتحركان ببطء نحو إبرام اتفاقاتٍ إقليمية في سوريا والعراق. ومثل هذه الاتفاقات قد تضمُّ التنظيمات الإقليمية للإخوان، سواء بصفتهم فاعلين ذوي أدوار مباشرة في الساحة (في الانتخابات على سبيل المثال)، أو فاعلين يمكنهم الاضطلاع بأدوار الوساطة بين الأطراف المتناحرة المتحالفة مع فاعلين إقليميين مختلفين. بعبارة أخرى، يمكن أن يكون لمستويات التواصل الأعلى بين إيران وإخوان مصر وكذلك المجموعات الأخرى، تبِعاتٌ كبيرة.

يُقدّم استمرار الأزمة الخليجية وبروز تسوياتٍ فرعية إقليمية محتملة بين إيران وتركيا، يُقدِّم لطهران فرصةً ذهبية للتواصل مع حركات الإسلام السياسي السُنيّة الصديقة لتركيا، التي تحظى بنفوذٍ نسبيٍّ في المجتمعات العربية السُنيّة. في حين أنَّ تحسُّن العلاقات الإيرانية مع حركات الإسلام السياسي السُنيّة، قد يُسهِم في تحسين صورة إيران لدى قواعد جمهور تلك الحركات في ظروفٍ خاصة. على سبيل المثال، من شأن اندلاع حربٍ شاملة

بين إيران أو حزب الله مع إسرائيل (مثل حرب لبنان ٢٠٠٦) أن تمثّل حافزًا أكبر بكثير ومُبررًا واضحًا لحركات الإسلام السياسي السُنيّة كي تُعزّز علاقاتها مع إيران. فقد كان إخوان مصر داعمين لحزب الله في حربه مع إسرائيل في عام ٢٠٠٦ إلى حدٍّ أنَّ المرشد العام السابق للجماعة، محمد مهدي عاكف، عبَّر في تصريحٍ شهير عن استعداد الإخوان لإرسال آلاف المجاهدين للقتال إلى جانب حزب الله في لبنان. لكنَّ سيطرة حزب الله على بيروت في عام ٢٠٠٨، ومشاركته الواسعة في الحرب الأهلية السورية في عام ٢٠١٣، دقَّا "إسفينًا" بين الإخوان في المنطقة والمحور الإقليمي الذي تقوده إيران.

وعلى الرغم من القواسم التاريخية المشتركة، فإن العلاقات بين الجانبين لم تصل في كثير من المناسبات إلى مستوى دافئ، حتى حين كانت قنوات التواصل ما زالت مفتوحةً. لكن في ظلِّ التفتُّت التنظيمي غير المسبوق الذي شهده إخوان مصر عقب الانقلاب العسكري في البلاد، انتقلت العلاقات من المستوى الثنائي إلى المستوى متعدِّد الأطراف بين إيران وفصائل الجماعة المختلفة، مع أنَّ ما يُسمَّى بالحرس القديم ما زال مُسيطرًا على مقاليد الأمور. لكنَّ إعادة صياغة العلاقات بين إيران وإخوان مصر يُسلِّط الضوء على الكيفية التي تنظر بها إيران إلى تفتُّت الجماعة وتتحرَّك وفقًا لذلك. وفي حين أكَّد بعض صانعي القرارات والباحثين المقيمين في طهران لمؤلفيّ هذه الدراسة أنَّهم يفضّلون رؤية إخوان مصر مُوحَّدين، وفيما يبدو أنَّ كلًا من التفتُّت والوحدة يُقدِّمان لإيران مزايا ومساوئ مختلفة في تواصلها مع الجماعة ومحاولاتها العمل معها.

يتيح التواصل المباشر بين إيران وكل طرف من الجماعة المصرية على حدة، يتيح لها بناءَ علاقاتٍ مع شخصيات مختلفة، بل وحتى الانخراط مع تلك الشخصيات في مشروعات، في حين يضمن أنَّ الفصائل الأخرى لن تكون قادرةً على استخدام حق النقض (الفيتو) ضد إقامة هذه العلاقات وتعزيزها. ومن ثَمَّ، تصبح إيران تدريجيًا قادرةً على خلق بعض الدعم داخل الإخوان لفكرة التقارب. وفيما يتعلَّق باحتمالات التوحيد المؤسسي بين الفصائل المختلفة، فإنَّ هؤلاء الأعضاء (من المستويات الصغرى/المتوسطة) قد يدفعون باتجاه علاقاتٍ أفضل مع إيران على المدى المتوسط إلى الطويل. غير أنَّ هذا السيناريو ضارٌّ لإيران من ناحية أنَّ توحيد الجماعة قد لا يحدث قريبًا، أو قد لا يحدث على الإطلاق، في هذه المسألة. علاوة على ذلك، فإذا نظرت بعض

الفصائل (خصوصًا الحرس القديم) إلى إيران على أنَّها تحاول بأقصى طاقتها خطب ودِّ أعضاء الفصائل الأخرى، فإنَّ طهران قد تخسر تمامًا اتصالها مع بعض الفصائل أو على الأقل لن تكون قادرةً على إحداث طفرةٍ في العلاقة مع الفصائل الأكثر نفوذًا. ومن ثَمَّ، يُمثِّل التنافس الداخلي بين نخب إخوان مصر بُعدًا مهمًا عند النظر في آفاق علاقاتهم مع إيران.

من ناحية أخرى، قد يسمح احتمال التوحيد المؤسسي داخل جماعة الإخوان المسلمين المصرية لإيران ببناء علاقاتٍ مع الجماعة بصورتها المتماسكة، ويُوجِد الفرصةَ للشروع في تفاهماتٍ مكتملة مع قادتها. لكن في هذه الحالة، قد يعوق فيتو من القيادة العليا للجماعة أيَّ مسعًى إيراني للتواصل بصورة مُكثَّفة مع الإخوان والمشاركة في مشروعات معهم. ومن الناحية العملية، فمن المحتمل أنَّ إيران تعتبر التفتُّت الحالي فرصةً لبناء علاقاتٍ منفصلة مع الفصائل المختلفة في غياب التوافق الداخلي داخل جماعة الإخوان المصرية، وهي عملية ينبغي أن يكون لها أثرٌ مضاعف في أيِّ توحيدٍ مؤسسيٍّ مستقبليٍّ. وعلاوة على ذلك، إذا ما كانت هناك أيُّ عودة لقيادات الإخوان من المنفى في حال التوصُّل إلى مصالحة سياسية مع النظام الذي يقوده الجيش في مصر أو حدوث تغييرٍ عنيف للنظام، فقد يدفع الإخوان على المدى الطويل نحو علاقاتٍ أفضل بين القاهرة وطهران. ولا يقتصر صبر إيران الاستراتيجي على الطريقة التي تبني بها نفوذها في جوارها العربي القريب مع المجتمعات المحلية، بل أيضًا مع الأطراف الفاعلة البعيدة القيِّمة، مثل إخوان مصر والتنظيمات الإقليمية الأخرى الشبيهة القريبة من أيديولوجيا الإخوان.

وتُعَدُّ فصائل جماعة الإخوان المصرية، لا سيما ما يُسمَّى بـ«المكتب الجديد» (فصيل القيادة الجديدة) في المنفى، براغماتيةً ومنفتحةً على الشراكات، بما في ذلك مع إيران، ما دام داعماها الحاليان (تركيا وقطر) منفتحان على شراكةٍ إقليمية مع إيران تتضمَّن إخوان مصر. لكنَّ آخرين في المكتب نفسه يعتقدون أنَّ علاقات الإخوان مع إيران لا ينبغي أن تستند إلَّا إلى اتصالاتٍ على مستوى الدولتين (بين مصر وإيران). في حين أنَّ الفصيل الثالث النازع إلى المواجهة لديه نظرة إيجابية تجاه إيران؛ نظرًا إلى تفضيلاته الأيديولوجية التي تجعل من إيران نموذجًا ثوريًا جذَّابًا؛ لكنَّ هذا الفصيل ما زال مُهمَّشًا داخل الجماعة عمومًا، حتى على الرغم من انتسابه إلى أيديولوجية الإخوان، وإن كان عبر منظورٍ مُعسكَر.

ومـن المهـم الوضـع فـي الاعتبـار كيـف أنَّ تفتُّـت الإخـوان ووجودهـم المُتناثِـر جغرافيًـا فـي السـودان وماليزيـا وتركيـا والمملكـة المتحـدة والولايـات المتحـدة ومناطـق أخـرى، ربمـا يقـود أعضـاء جماعـة الإخـوان المصريـة الآن إلـى بنـاء مقاربـاتٍ مختلفـة بشـأن السياسـة الخارجيـة للجماعـة. وصحيـحٌ أنَّ القيـادة التاريخيـة لا تعـارض تحسـين العلاقـات مـع إيـران، ويتشـارك رموزهـا نفـس رؤيـة بعـض شـخصيات الفصيـل القيـادي الجديـد المنفتحيـن علـى التعـاون. لكـنَّ الحـرس القديـم أكثـر ميـلًا إلـى التفكيـر فـي ردات الفعـل مـن جانـب الفاعليـن التقليدييـن فـي المنطقـة فـي هـذه الحـالات، مثـل السـعودية. غيـر أنَّ المحـور الإقليمـي الـذي تقـوده السـعودية والإمـارات يكثِّـف قمعـه ضـد الإخـوان فـي المنطقـة بقـوة، ويسـعى لاسـتنزاف قدراتهـم الماليـة. وعـلاوة علـى ذلـك، تعمـل السـعودية باسـتمرار علـى تطهيـر مؤسساتها مـن المغتربيـن المرتبطيـن بالإخـوان، الذيـن أسـهموا علـى مـرِّ عشـرات السـنين فـي تعزيـز القـدرات الماليـة الضخمـة للتنظيـم. ويُرجَّـح أن يؤثـر الاقتصـاد السياسـي المُتغيِّـر لإخـوان مصـر فـي الكيفيـة التـي ينظـر بهـا أعضـاء الإخـوان إلـى وضـع السـعودية فـي المنطقـة.

ويُرجَّـح أنَّ تركيـا وقطـر علـى علـم باللقـاءات الحاليـة والمسـتقبلية بيـن إيـران وإخـوان مصـر، فضـلًا عـن المجموعـات الأخـرى التابعـة للإخـوان فـي المنطقـة. وفـي حيـن أنَّ كلا البلديـن علـى الأرجـح لا يعارضـان مثـل هـذه الاتصـالات، مـا دامـت لا تتعـارض مـع مصالحهمـا، فمـن المُرجَّـح للغايـة أنَّهمـا يُفضِّـلان أن تسـتمرَّ هـذه الاتصـالات تحـت إشـرافهما، أو علـى الأقـل دمـج خطـوط الاتصـال هـذه لتُشـكِّل جـزءًا مـن تفاهـمٍ إقليمـيٍّ متعـدِّد الأطـراف، لا سـيما وهـذه الفصائـل المعنيـة موجـودة فـي بلديهمـا. لقـد حوَّلـت الفُرقـة الواسـعة التـي حدثـت قسـرًا فـي صفـوف الإخـوان، مُقترنـةً بالجغرافيـا السياسـية المتغيِّـرة فـي المنطقـة ـ التنظيـمَ مـن قـوةٍ متماسـكة ومتكاملـة سياسـيًا فـي مصـر إلـى كيـانٍ مُفتَّـت ذي مسـتقبل سياسـيٍّ خاضـع بدرجـةٍ كبيـرة لتحكُّـم عمليـات إعـادة الترتيـب الإقليميـة. وفـي ظـلِّ تضييـق إدارة الرئيـس الأميركـي دونالـد ترمـب الحاليـة الخنـاق علـى إيـران وحـركات الإسـلام السياسـي، فـإن السـؤال يظـل مُتركِّـزًا فـي الأسـاس علـى مـا إذا كان إخـوان مصـر (سـواءٌ أكانـوا مُوحَّديـن تنظيميًـا أم مُفتَّتيـن) والمجموعـات الإقليميـة الأخـرى علـى اسـتعدادٍ للانخـراط مـع إيـران علـى مسـتوى أعلـى أم لا. ويتمثَّـل أحـد الأسـئلة المهمـة الأخـرى فـي مـا إن كان التنظيـم ـ فـي حـال حـدوث سـيناريو يقبـل فيـه الانخـراط مـع إيـران ـ سـيتعامل مـع إيـران بصـورةٍ مسـتقلة عـن أيِّ تفاهمـاتٍ إقليميـة متعـدِّدة الأطـراف بصفتـه طرفًـا فاعـلًا مسـتقلًا، أم

سينخرط مع إيران في إطار تسويةٍ إقليمية كبرى. وعلى الأرجح سيتعامل إخوان مصر بحذرٍ مع هذه المسألة بسبب أبعادها طويلة المدى، سواء داخلياً على مستوى قواعد جمهور الجماعة، أو خارجيًا على مستوى علاقاتها الخارجية.

المراجع

١- Rainer Brunner, Islamic Ecumenism in the 20th Century the Azhar and Shiism between Rapprochement and Restraint. Social, Economic and Political Studies of the Middle East and Asia (Leiden: Brill, 2004), 132.

٢- المرجع السابق، ص ١٣٢.

٣- المرجع السابق، ص ١٣٣.

٤- المرجع السابق، ص ١٨٠.

٥- فاطمة الصمادي، «الإسلاميون في إيران ومصر (١٩٧٩-٢٠١١) جدلية الأيديولوجية» في «الإخوان وإيران: خارج المذهب داخل ملعب السياسة» (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١٣).

٦- Douglas Thompson, Inside the Muslim Brotherhood (Cairo: Shorouk, 2013), 94.

٧- المرجع السابق، ص ٩٦ ـ ١٠٣.

٨- المرجع السابق رقم ٥.

٩- المرجع السابق.

١٠- إيران والإخوان المسلمون، الراصد (٨ مايو/آيار ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٠ مارس/آذار ٢٠١٨).
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5476

١١- المرجع السابق رقم ٥.

١٢- المرجع السابق.

١٣- المرجع السابق.

١٤- المرجع السابق رقم ١٠.

١٥- شراره عبد الحسین زاده، در برج امنیت؛ چرایی ورود ایران به پرونده های منطقه ای (تهران: موسسه مطالعات اندیشه سازان نور، ١٣٩٦(، ٣٥.

١٦- المرجع السابق، ص ٣٥.

١٧- المرجع السابق، ص ٣٥.

18- Fatima Al-Smadi, "Iran and the Arab Revolutions: Narratives Establishing Iran's Monopolism," Aljazeera Center for Studies, 18 March 2017
(تاريخ الدخول: ١٠ مارس/آذار من عام ٢٠١٨)
http://studies.aljazeera.net/en/reports/2017/03/iran-arab-revolutions-narratives-establishing-irans-monopolism.html.1703180501252225

١٩- المرجع السابق.

٢٠- المرجع السابق.

٢١- المرجع السابق.

٢٢- المرجع السابق رقم ١٥.

٢٣- المرجع السابق، ص ٣٨.

٢٤- سید امین رضوی نژاد واسماعیل شفیعی، بررسی رویکرد وجهت گیری سیاست خارجی جمهوری اسلامی ایران در قبال بحرانهای جهان عرب (فصلنامه سیاست خارجی، شماره ٢، تابستان ١٣٩٥)، ٤٥.

http://fp.ipisjournals.ir/article_18980_3c374d5133ef742c494bb-350ba742e19.pdf
(دسترسی در ۱۰ فروردین ۱۳۹۷)
۲۵- المرجع السابق، ص ٤٥.
۲٦- سيد على نجات، راهبرد هاي جمهوري اسلامی ايران و عربستان سعودي درقبال بحران سوريه (فصلنامه سياست خارجي، شماره ٤، زمستان ۱۳۹۳) ،٦٤٨.
۲۷- المرجع السابق، ص ٦٤٥.
۲۸- "Insight: Syrian government guerrilla fighters being sent to Iran for training," Reuters, 4 April 2013
(تاريخ الدخول: ۱۰ مارس/آذار من عام ۲۰۱۸)
https://www.reuters.com/article/us-syria-iran-training-insight/insight-syrian-government-guerrilla-fighters-being-sent-to-iran-for-training-idUSBRE9330DW20130404
۲۹- فاطمة الصمادي، استطلاع رأي: إيران في ميزان النخبة العربية، مركز الجزيرة للدراسات، ۱۸ يناير/كانون الثاني ۲۰۱٦ (تاريخ الدخول: ۱۰ مارس/آذار ۲۰۱۸)
20161201116224734Opi/20/1/2016/http://studies.aljazeera.net/mritems/Documents/nion-Poll-Arab-Iranian-Relations.pdf
۳۰- المرجع السابق، ص ۳۳.
۳۱- المرجع السابق، ص ۲۵.
۳۲- المرجع السابق، ص ٤.
۳۳- المرجع السابق، ص ٥.
۳٤- المرجع السابق، ص ۹.
۳٥- المرجع السابق، ص ۱٦.
۳٦- المرجع السابق، ص ۱٥.
۳۷- المرجع السابق، ص ۹.
۳۸- فاطمة الصمادي، توجهات النخبة من «الإخوان المسلمين» نحو إيران ودورها في المنطقة، مركز الجزيرة للدراسات، ۱۸ أكتوبر/تشرين الأول، (تاريخ الدخول: ۱۰ مارس/آذار ۲۰۱۸).
html.161017055516923/10/2016/http://studies.aljazeera.net/ar/reports
۳۹- المرجع السابق.
٤۰- المرجع السابق.
٤۱- المرجع السابق.
٤۲- المرجع السابق.
٤۳- "Muslim Millennial Attitudes on Religion & Religious Leadership." Zogby Research Services, January 2016
(تاريخ الدخول: ۱۰ مارس/آذار من عام ۲۰۱۸)
https://static1.squarespace.com/static/52750dd3e4b08c-252c723404/t/569eebcccb-ced6e361dce467/1453255667316/Millennials+2015+FINAL.pdf

٤٤- مقابلة مع باحث كبير متخصِّص في حركات الإسلام السياسي السُنّية، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٤٥- المرجع السابق.
٤٦- المرجع السابق.
٤٧- المرجع السابق.
٤٨- المرجع السابق.
٤٩- المرجع السابق.
٥٠- المرجع السابق.
٥١- المرجع السابق.
٥٢- مقابلة مع دبلوماسي إيراني سابق لديه خبرة في حركات الإسلام السياسي السُنيّة، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٥٣- علوی: جریان های تروریستی به دنبال تملک زمین هستند/تروریست ها ضربات اساسی خورده اند، ٢١ آذر ١٣٩٦(دسترسی در ١٠ فروردین ١٣٩٧)
http://www.irna.ir/fa/News/82760672
٥٤- مقابلة مع كاتب لديه علاقات مع التنظيم الدولي للإخوان، إسطنبول، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٥٥- مقابلة مع أستاذ بجامعة طهران لديه خبرة في حركات الإسلام السياسي السُنيّة، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٥٦- مقابلة مع باحثين إيرانيين، إسطنبول، مارس/آذار ٢٠١٨.
٥٧- المرجع السابق.
٥٨- في نقاشٍ مع رئيس أحد مراكز الأبحاث الإيرانية النافذة ذات الميول المُحافِظة في طهران، يحاجج بأنَّ الاختلافات بشأن الإخوان موجودةٌ داخل مؤسسة الحكم الإيرانية، لكن الموقف العام لإيران تجاه الإخوان إيجابيٌّ ومُنفتح على المشاركة. غير أنَّ الانتقادات في طهران بخصوص سلوك الجماعة موجودة (وفي حين لم توضّح الشخصية ما أوجه الانتقاد تحديدًا، فيُرجَّح أنَّها سياسة الإخوان الخارجية حين كانت الجماعة في الحكم في القاهرة)، طهران، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٥٩- المرجع السابق رقم ٥٦.
٦٠- مقابلة مع باحث لديه خبرة في شؤون الشرق الأوسط، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٦١- مناقشات عديدة مع أكاديميين، وصنّاع سياسات، ودبلوماسيين سابقين، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٦٢- في نقاشٍ مع رجل دين إيراني شيعي لديه علاقات مع الدوائر الإصلاحية، يجادل بعكس ما يجادل به المحافظون/الأصوليون كثيرًا حول أنَّه كانت هناك حاجة للتغيير الجذري في مصر. وفي رأيه، فقد فشل الإخوان بمصر في الحكم جزئيًا ؛ لأنَّهم سعوا لـ»أخونة» الدولة المصرية، مدينة قُم، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٦٣- المرجع السابق.
٦٤- يقول صحافي مقيم في طهران إنَّ محمد مرسي حين رفض دعوةً للقاء المرشد الأعلى في أثناء زيارة الأول إلى طهران لحضور قمَّة عدم الانحياز (عام ٢٠١٢)، التي أعقبها لقاؤه مع العاهل السعودي عبد الله بن عبد العزيز في طريق عودته من طهران - ربما أدَّى إلى فكرة

جحود مرسي (والإخوان المسلمين) مقابل بادرة حسن النيّة التي عرضتها طهران، طهران، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٦٥- المرجع السابق رقم ٤٤.
٦٦- مقابلة مع رجل دين إيراني شيعي ورئيس إحدى الجامعات، طهران، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٦٧- المرجع السابق.
٦٨- في نقاشٍ مع رجل دين إيراني شيعي لديه خبرة في الحوارات بين المذاهب الإسلامية، يجادل بأنَّ مشاركة إخوان مصر في الحوارات التي تشارك فيها الشخصيات الإيرانية الشيعية أمر إيجابيٌّ، لكن يمكن أن يضرَّهم في هذه المرحلة إذا ما أُعلِن. ويُفضِّل رجل الدين الإيراني المشاركة، لكنَّه يقول إنَّ هناك حاجةً إلى الصبر، فقد تتحقَّق نتيجة إيجابية بعد جلسات عديدة، مدينة قُم، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٦٩- قال صحافي مقيم في طهران لمؤلفي الدراسة إنَّ السعودية ربما كانت منزعجةً من رؤية تنظيم إسلاميٍّ مثل الإخوان يتمتّع بنفوذ على البحر الأحمر (خاصرتها الغربية)، في الوقت نفسه الذي تتمتَّع فيه إيران بنفوذٍ في الخليج، على خاصرتها الشرقية (حزام ناشئ لتطويق السعودية)، طهران، أبريل/نيسان ٢٠١٨.
٧٠- مقابلة مع قيادي سابق في قسم الشؤون الطلابية بجماعة الإخوان المسلمين المصرية (قبل الثورة)، انتقل لاحقًا إلى المكتب السياسي للجماعة بعد نفيه في فترة ما بعد مرسي، ثُمَّ استقال من العمل التنظيمي مع «القيادة القديمة»، إسطنبول، ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧.
٧١- المرجع السابق.
٧٢- مصطلح استُعير من دراسة حسام تمام بعنوان «تسلُّف الإخوان: تآكل الأطروحة الإخوانية وصعود السلفية في جماعة الإخوان المسلمين»، التي ظهرت ضمن سلسلة نشرتها مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٠.
٧٣- مقابلة مع عضو من شباب الإخوان كان مُقرَّبًا من رئاسة محمد مرسي، لكنَّه بات معزولًا الآن، وهو مُطَّلع على ملف الاتصالات مع إيران، إسطنبول، نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧.
٧٤- المرجع السابق رقم ٧٠.
٧٥- مقابلة مع عضو سابق في لجنة العلاقات الخارجية بحزب الحرية والعدالة التابع للإخوان المسلمين (تشكَّل قبل الثورة)، ومنشق عن مستوى القيادة الأكبر سنًّا في الجماعة، إسطنبول، نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧.
٧٦- انتقد السلفيون الإخوانَ والرئاسة المصرية بشدَّة في أثناء فترة مرسي بسبب ما اعتبروه «انفتاحًا» على الإيرانيين والشيعة.
٧٧- المرجع السابق.
٧٨- المرجع السابق.
٧٩- مقابلة مع شخصية إخوانية بارزة مقرَّبة من مستوى القيادة الأكبر سنًّا في الجماعة، إسطنبول، يناير/كانون الثاني ٢٠١٨.
٨٠- المرجع السابق.

٨١- المرجع السابق.
٨٢- مقابلة مع قيادي إخواني مُقرَّب من مستوى القيادة الأكبر سنًا في الجماعة ومسؤول سابق في لجنة العلاقات الخارجية بالجماعة، لندن، يناير/كانون الثاني ٢٠١٨.
٨٣- المرجع السابق رقم ٧٣.
٨٤- المرجع السابق رقم ٧٣.
٨٥- مقابلة مع مسؤول مصري كبير سابق في إدارة مرسي، إسطنبول، يناير/كانون الثاني ٢٠١٨.
٨٦- مقابلة مع قيادي سابق من شباب الإخوان يرى الآن أنَّه تجب مواجهة النظام المصري الحالي بالقوة، إسطنبول، ديسمبر/كانون الثاني ٢٠١٧.
٨٧- المرجع السابق رقم ٨٢.
٨٨- المرجع السابق رقم ٧٠.
٨٩- المرجع السابق رقم ٧٣.
٩٠- المرجع السابق رقم ٧٩.
٩١- المرجع السابق رقم ٧٠، والمرجع السابق رقم ٧٣.
٩٢- المرجع السابق رقم ٧٩.
٩٣- مقابلة مع أكاديمي مقرَّب من قيادة الإخوان الجديدة التي انشقّت عن الجيل الأقدم في الجماعة، إسطنبول، يناير/كانون الثاني ٢٠١٨.
٩٤- مقابلة مع شخصية من مستوى القيادة المتوسطة في حركة حماس، إسطنبول، أغسطس/آب ٢٠١٧.
٩٥- في مقابلة مع رجل دين سُنّي لديه علاقات مع إخوان مصر، أكَّد أنَّ الإخوان - برغم الانتقادات - ينبغي لهم تعزيز علاقاتهم مع طهران بهدف مساعدتهم في المناورة ضد الرياض. وقال: «إن استند الاتصال والانخراط مع إيران إلى أجندةٍ وخطةٍ واضحة، يمكن أن تكون النتائج إيجابيةً للإخوان». وفي هذا السياق يقول: «يمكن لحماس، في ظلِّ خبرتها الطويلة مع إيران، أن تقدِّم المشورة للمصريين في هذه المسألة»، إسطنبول، أبريل/ نيسان ٢٠١٨.
٩٦- المرجع السابق رقم ٧٩.
٩٧- المرجع السابق رقم ٧٩.
٩٨- مقابلة مع شخصية بارزة مقرَّبة من الإخوان والحكومة التركية، إسطنبول، يناير/ كانون الثاني ٢٠١٨.
٩٩- المرجع السابق رقم ٧٩.
١٠٠- المرجع السابق رقم ٨٢.
١٠١- المرجع السابق رقم ٧٩. توضيح: يؤدِّي مكتب التنظيم الدولي للإخوان في لندن دورًا شرفيًا بحكم الأمر الواقع في إدارة العلاقات الدولية لحركات الإخوان الإقليمية. ويُنسِّق المكتب أيضًا بين حركات الإخوان المختلفة. ويترأسه إبراهيم منير، وهو عضو بمكتب إرشاد جماعة الإخوان المصرية، ونائب المرشد العام لإخوان مصر، والأمين العام للتنظيم الدولي للإخوان، والمتحدِّث باسم الإخوان في أوروبا. ويُقلِّل المراقبون عادةً من تأثير هذا المكتب في عملية صنع السياسة في حركات الإخوان وشؤونهم الدولية.
١٠٢- المرجع السابق رقم ٧٩.

١٠٣- المرجع السابق رقم ٧٥.
١٠٤- المرجع السابق رقم ٩٣.
١٠٥- المرجع السابق رقم ٧٠.
١٠٦- المرجع السابق رقم ٨٥.
١٠٧- المرجع السابق رقم ٥٦.
١٠٨- المرجع السابق رقم ٥٦.
١٠٩- المرجع السابق رقم ٥٦.
١١٠- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١١- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١٢- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١٣- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١٤- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١٥- المرجع السابق رقم ٨٦.
١١٦- المرجع السابق رقم ٨٦.

عن المؤلفين

تامر بدوي زميل باحث سابق في منتدى الشرق، وحاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأوروبية المركزية عام 2016، ودرجة البكالوريوس في الدراسات الشرقية من جامعة الإسكندرية عام 2013. ويُسهِم بدوي بانتظام في "صدى"، وهي نشرة إلكترونية تشرف عليها مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. وهو أيضًا مساهم منتظم في مركز الجزيرة للدراسات في الدوحة. وتتركّز مجالات بحثه الحالية على السياسات الخارجية والتجارية الإيرانية تجاه العراق، وعلاقات إيران مع حركات الإسلام السياسي.

أسامة الصياد صحافي مصري ومنتج بشبكتي الجزيرة سابقاً وTRT حالياً. تُركّز مشروعاته على حركات الإسلام السياسي والعلاقات المدنية-العسكرية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ويغطي عمله كُلًّا من الصحافة الاستقصائية وصحافة البيانات.

عن منتدى الشرق

منتدى الشرق هو شبكة دوليّة مستقلّة تتمثّل مهمتها في تطوير استراتيجيّات طويلة الأمد لضمان التطور السياسيّ، والعدالة الاجتماعيّة، والازدهار الاقتصاديّ لشعوب منطقة الشّرق الأوسط. وسيقوم بتنفيذ ذلك من خلال الأبحاث المتفانية في العمل العامّ، وبتعزيز مُثُل المشاركة الديمقراطيّة، والحوار بين أصحاب المصالح المتعددة والعدالة الاجتماعيّة

Address: Istanbul Vizyon Park A1 Plaza Floor:6
No.:68 34197 Bahçelievler/ Istanbul / Turkey
Telephone: +902126031815
Fax: +902126031665
Email: info@sharqforum.org

sharqforum.org

/ SharqForum

/ Sharq-Forum

منتدى الشرق
ALSHARQ FORUM

إيران وجماعة الإخوان المسلمين المصرية:
اتجاه نحو تطوير العلاقات أم مجرد إصلاحها؟

حـوَّل توسُّـع النفـوذ الإيرانـي عقـب انـدلاع ثـورات الربيـع العربـي صـورة جمهوريـة إيـران الإسـلامية فـي المجتمعـات العربيـة، خصوصًـا السُـنيَة منهـا. ورسـمت إيـران صـورةً سـلبيةً عـن نفسـها بدورهـا المُسـاعد فـي قمـع ثـورة ٢٠١١ السـورية ضـد الرئيـس بشـار الأسـد، ومحاولتهـا خلـق أجهـزة أمنيـة- عسـكرية موازيـة فـي منطقـة المشـرق. وتحـاول إيران الاسـتفادة من مكاسـبها الجيوسياسـية وبنـاءَ شـبكات تواصـل مـع المجتمعـات العربيـة السُـنيّة بهـدف تحسـين صورتهـا وإيجـاد دائـرة واسـعة مـن الشـركاء العـرب السُـنة.

منتدى الشرق
ALSHARQ FORUM
www.sharqforum.org